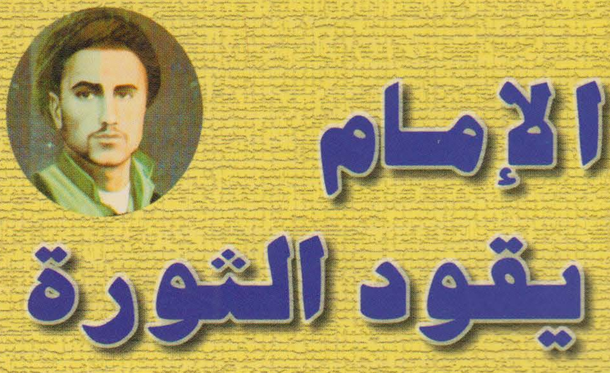
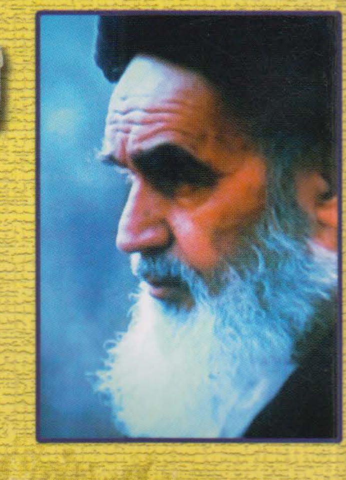


الإمام يقود الثورة

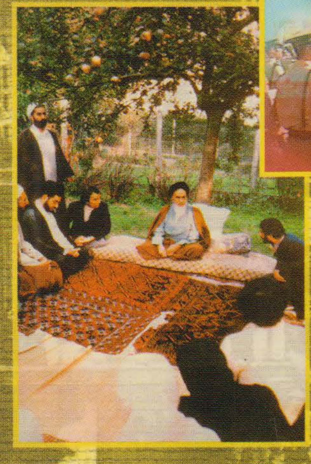


دروس من الحياة السياسية للإمام الخميني

1963 - 1989











مركز باء للدراسات


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



الكتـاب: الحياة السياسية

إعـــداد: مركز بـاء للدراسات

الناشـر: الدار الإسلامية

الطبعة: الأولى ـ بيروت ـ 2001 م

مركز بـاء للدراسات

لبنان ـ بيروت

ت: 03/653070 ـ 03/380119

فاكس: 01/553863 ص.ب: 14/5680

e-mail: lylas@cyberia.net.lb

e-mail: anourdin@cyberia.net.lb

ISBN: 9953-22-015

جميع الحقوق محفوظة ©

الإمام يقود الثورة

الحياة السياسية للإمام الخميني

(1963- 1979)

مركز بـاء للدراسات

المحتويات



المقدمة

ان الحديث عن الفكر السياسي للامام الخميني قدس سره وبعد اكثر من عشر سنوات على رحيله المفجع لا ينبغي ان يحمل على انه نوع من التأريخ فقط. لان الامام ولسبب واضح لم يصبح من التاريخ، فما زال العصر عصر الامام الخميني رغم كل الأوهام التي ينشرها الأعداء ويتبناها الجاهلون...

لقد إنطلق الامام لتحقيق هدف الأنبياء في وراثة الأرض للصالحين وهو وعد الله الذي لا يخلف الميعاد.. ولأجل تحقيق هذا الهدف كان عليه ان ينشر التعاليم الصافية للإسلام وجذب أكبر عدد ممكن من الناس نحو غايات الدين وبرامجه التي جاهد من أجلها علماء عظام حملوا اللواء من أئمتهم الأطهار..

استطاع الامام أن يستفيد من هذا التراث العظيم وان يصل الى روحه السامية المتمثلة بالحكومة في البعد الإجتماعي والعرفان الخالص في البعد العميق للإسلام..

وهكذا قدم لشعبه ومن اتّبعه برنامج الجهاد والكفاح في مسيرة الكدح نحو لقاء الله تعالى..

ان هذا الكتاب هو سعي آخر نحو سبر أغوار هذه الروح الكبيرة للامام

ولفهم ما أراده منا، ما حققناه وما لم نحققه..

لقد وضع الامام برنامجاً للوصول الى تلك الأهداف الالهية السامية، يبدأ بالتحرك نحو إقامة الحكومة الإسلامية على أساس مبدأ الولاية الالهية المتمثلة بولاية الفقيه، وبين سبل التحرك والعمل. وقد ذكر ذلك في بياناته وكتاباته، وأهم ما حوى هذا البرنامج كتابه حول "الحكومة الاسلامية". ثم عمل بعض الباحثين على استجلاء هذا الفكر السياسي من خلال دراسة الخطب والبيانات التي كان الامام يصدرها ابان مسيرة الثورة المظفرة. ومن أهم ما كتب في هذا المجال "**الحياة السياسية للامام الخميني**" لمحمد حسن رجبي باللغة الفارسية، حيث قام الأخ العزيز الشيخ فريد توبة بالإستفادة من الكتابين المذكورين لاعداد هذه الدراسة الممتعة.

مركز بقية الله يشكر كل الذين ساهموا في إخراج هذه الدراسة بحلتها الجديدة لتكون بمتناول العدد الأكبر من القراء على أمل ترجمتها إلى اللغات الحية في العالم.

الناشر

الفصل الأول:

إطلاله على حياة الإمام

الهوية الشخصية للإمام قدس سره

في العشرين من جمادى الآخرة عام 1320 هجرية (الموافق عام 1902 ميلادية)، بزغ ضياء حياة الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في مدينة خُمين(1)، وكان آخر مولود للأسرة وسماه والداه روح الله، ووالد سماحته هو العلامة الفاضل السيد مصطفى الخميني، الذي ودع الدار الفانية عن عمر يناهز السابعة والأربعين، وذلك في شهر ذي الحجة من عام 1320هـ.

أما والدته فهي السيدة (هاجر) وهي من أسرة علمية عريقة اشتهرت بالعلم والفضيلة.

دراسة الإمام في مدينة قم المقدسة

توجه الإمام قدس سره إلى الحوزة العلمية في مدينة قم عام 1340هـ، التي كان آية الله الحائري قد أسسها بداية في آراك عام 1339 ثم عاد ونقلها إلى قم بعد سنة من ذلك. وخلال العام الثاني لإقامة الإمام

الخميني في مدينة قم، استقبلت هذه المدينة ثلة من مراجع الدين والحوزة في العراق الذين أُبعِدوا عن بلدهم إثر قيامهم بالثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني بقيادة آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي (الميرزا الثاني)، وقد استقبلهم آية الله الحائري استقبالاً حاراً..

وكان من جملة هؤلاء العلماء الأفاضل، آية الله النائيني وآية الله محمد الصدر، وآية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني، ولقد كان الإمام رضي الله عنه خلال هذه الفترة على اتصال مباشر مع هذه الثلة المجاهدة يتتبع الأخبار حتى تفهم أوضاع الشيعة وعرف همومها في العراق؛ هذا ما نستنتجه من خلال كلماته وخطبه، فقد تطرق لهذا الموضوع أكثر من مرة حيث قال في إحدى الخطب:

«... إن من نهض بالعراق وعمل على إنقاذه... عالم جليل، رفيع القدر والمنزلة، صاحب السمو والفضيلة الميرزا الشيرازي الثاني... الذي أفتى بالجهاد.. وقدموا قرابينهم، وقاتلوا وضحوا إلى أن استقل العراق... وكانوا قد أبعدوا علماءه ومفكريه إلى إيران بسبب خلافهم مع الزمرة الحاكمة؛ لقد أُبعِد المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني، والمرحوم الشهرستاني، والمرحوم الخالصي، لا لذنب اقترفوه بل لأنهم قاوموا وعارضوا المعتدين البريطانيين ألم نكن نشاهد ذلك بأم أعيننا..؟».

دور أساتذة الإمام في الحياة السياسية

كان بعض أساتذة الإمام؛ تلامذة كبار زعماء انتفاضةِ الدستور[3] كالمرحوم الآخوند الخراساني، ومن أولئك الأساتذة: الشيخ عبد الكريم الحائري، الشيخ ميرزا جواد الملكي التبريزي، والسيد محمد تقي الخوانساري، والميرزا محمد علي الشاه آبادي.

وكان أكثر الأساتذة تحركاً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم حماساً آية الله الشاه آبادي والمرحوم الشيخ محمد تقي البافقي حتى أصبحا بدورهما منهلاً عذباً للشباب المتحمس في الحوزة العلمية وبخاصة السيد روح الله قدس سره.

لقد اهتم الإمام بهذه الذكريات، وبهذه الروح الجهادية اهتماماً بالغاً وبوسعنا أن نلمس ذلك من سياق خطبه وكلماته، ونلاحظ مثلاً: موقفاً للإمام في غاية الأهمية وهو ائتمامه بآية الله الخوانساري في صلاتي المغرب والعشاء في المدرسة الفيضية طيلة حياة آية الله الخوانساري، ولم نشاهده يأتم بأحد غيره من بعده؛ وتفسير هذا هو التعبير عن مدى اهتمام الإمام بمواقف أولئك العلماء المجاهدين واحترامهم وتقديس مبادئهم التي تهدف إلى دحر الأعداء وإفشال مخططاتهم الاستعمارية.

متابعة الإمام للواقع السياسي

اهتم الإمام بمتابعة الأخبار والأنباء عن طريق الصحف والمجلات والنشرات التي كانت تعتبر آنذاك الأداة الوحيدة للإعلام. وإن المتتبع لخطابات ومقالات الإمام ومؤلفاته يلاحظ ذلك بوضوح، خاصة عندما يتطرق إلى انتقاد وسائل الإعلام ويفضح أوضاعها المأساوية والدنيئة في كتابه «كشف الأسرار» الذي سنفرد له بحثاً مستقلاً.

من الذاكرة

يروي لنا أحد زملاء الإمام في الحوزة، وهو آية الله الشيخ محمد باقر الكرماني فيقول: لقد كان آية الله الحائري يولي السيد روح الله اهتماماً بالغ الأهمية، ففي يوم من الأيام، تقدم روح الله نحو الشيخ الحائري، ومَثُلَ أمامه بحالة قلق شديد وتوتر شاكياً له سوء معاملة مدير المدرسة الفيضية تجاه الطلبة قائلاً:

«لِمَ هذه المعاملة السيئة؟ ألم يكن هؤلاء جنود الإمام المهدي عليه السلام؟ ألم يأتوا لخدمة الدين والإسلام؟ إن هؤلاء تركوا ديارهم، وأهلهم خدمة للدين وإعزازاً للإسلام؟ ألم يأتوا إلى الحوزة ليعبروا عن مدى حبهم وولعهم بكسب الفضائل ونيل الرفعة والسمو؟ ألم يأتوا ليتزودوا

من أخلاقكم وعلمكم، وليتهذبوا في هذه الحوزة بإشرافكم وإرشاداتكم، ولكن مع الأسف نرى العكس تماماً من جراء معاملة المدير السيئة».

وطلب الإمام من الشيخ الحائري بإلحاح، أن يتخذ الإجراءات المناسبة بشأن هذا الموضوع، وكان الشيخ يستمع إليه بهدوء مظهراً له اهتمامه ومحبته.

الفصل الثاني

مدخل إلى حياة الإمام السياسية

انتفاضة الدستور

قامت انتفاضة الدستور نتيجة لبعدين اثنين: أحدهما ظلم الحكومة وجورها وتسلط الولاة على رقاب المستضعفين والمحرومين من أبناء الشعب، الذي عانى من آلام الفقر والحرمان والاضطهاد، إضافة إلى فقد الحكومة سيطرتها على الأمن الداخلي وتمزق الأمن الاجتماعي والاقتصادي وفتح المجال لقطاع الطرق وللعصابات المخرية. والبعد الآخر وعي الجماهير لتقلبات البلد وعدم ثقتهم بالمسؤولين وما يصدر عنهم من قوانين وأوامر، فتعطلت القوانين، وخاصة بعد دخول القوات البريطانية والروسية إلى البلاد، وتوجهت جماهير الشعب إلى العلماء والفقهاء الذين كانوا يحرضونهم ويوجهون نضالهم ضد الاستبداد والظلم، حتى تمكنوا من فرض مطالبهم على الحكومة بالقوة وعلى ضوئها أصدرت الحكومة أمر «وضع الدستور».

وما إن قامت الحكومة الجديدة حتى برزت الخلافات والمشاحنات بين رجالات الحركة الدستورية في صياغة الخطوط

العريضة للنظام، التي تحقق الانسجام والتطابق مع أحكام الشرع المبين والدين الحنيف، لكن الجميع سعوا إلى اتفاق واحد يقضي إلى صياغة نظام جديد، فعدِّل الدستور وملحقاته.

وعلى العموم، فإن كل ما دُوِّن وسُجِّل وقُرِّر كان حبراً على ورق ولم يخرج إلى حيّز التطبيق أبداً وعلا الضجيج مرة أخرى، فبعد أن سيطر على الأوضاع أولئك الذين تقنعوا هذه المرة بقناع الدستور، وتسلقوا سلم السلطة فوصلوا إلى مراتب الحكم على أنهم قادة الكتل الوطنية والهيئات الثورية، واستعانوا بالمتطرفين المخالفين لعلماء الدين للقضاء على الحركات الثورية ورجالاتها الدينية والوطنية أمثال الشيخ فضل الله النوري[3]، أفرجوا عن السجناء السياسيين المخالفين للدستور أمثال عين الدولة.

وللإيضاح نقول: إن عين الدولة كان ـ فيما مضى ـ وزيراً للسلطان مظفر الدين[4]، وقد اختير لرئاسة الدولة الدستورية مرتين عام 1916 وعام 1918م.

بعد هذا العرض السريع والمختصر يجب أن نرى ما أفاضه علينا الإمام قدس سره في هذا المجال من نقاط هامة يقول:

«إن العلماء هم الذين كانوا في طليعة انتفاضة الدستور، إن أساس فكرة الدستور يرجع إلى علماء النجف الأشرف، لكن تمكنوا منها في إيران وتقدمت ووصلت إلى الغاية التي كانوا يرجونها... وصمموا على

الدستور فحصلوا عليه... لكن بعد أن وصلوا إلى سدة الحكم وإلى وقت العمل الجاد تركوا كل شيء لصالح أعدائهم..

كان الشعب محايداً، وترك علماء الدين الساحة، وانصرف كل منهم إلى أموره الخاصة: وكان عملاء القوى الأجنبية وبخاصة عملاء بريطانيا يرسمون الخطط لإبعاد العلماء عن الساحة السياسية والاجتماعية بشتى الطرق وبجميع الوسائل بما فيها القتل والاغتيال، فأشاعوا الكذب وألصقوا التهم بعلماء الدين، ولوثوا سمعتهم وشوهوها من خلال دعاياتهم وإشاعاتهم عبر الكتّاب والخطباء السياسيين، وادعوا بأنهم أناس غير لائقين بالسياسة وغير جديرين بمهامها على حد تعبيرهم. إن كل ما حدث هو اسم للدستور فقط، بينما هو في الحقيقة ظلم واضطهاد واستبداد لم يبلغه بلدنا في أي عصر من العصور...».

وبمرور الزمن تجمدت الحركات الثورية، وخمدت نيران الثورة، وتوغل عملاء الروس والبريطانيين في البلاد أكثر فأكثر، حتى أصبح وجودهم ضرورة ملحة، ودورهم بارزاً في جميع المجالات وفُقد الأمن والاستقرار بكل معنى الكلمة، وكثر قطاع الطرق واللصوص.

وفي هذه الفترة الزمنية اندلعت الحرب العالمية الأولى وكانت آثارها على إيران والشعب الإيراني خطيرة جداً. حيث دخلت

قوات الدول الأجنبية أراضي البلاد، وتقاتلوا فيما بينهم على أراضينا وفي وطننا، وراح بعضُ رجال الدولة، والسياسيين، والوطنيين يفكرون بالهجرة إلى خارج البلاد.

وبعد أن رأت بريطانيا عدم وجود مبرر لبقائها في إيران، راحت تسعى جادة إلى إقامة حكومة تتماشى مع أهوائها وتحقق أهدافها، وبناء على هذا استلم وثوق الدولة[5] زمام الأمور فشكل حكومته الجديدة عام 1918م.

وبعد مضي عام على رئاسته عقدت بريطانيا معه اتفاقاً ينص على إحالة الأمور الجمركية والمالية والعسكرية إلى المستشارين والخبراء البريطانيين وواجهت هذه الاتفاقية معارضة شديدة من قبل الشخصيات السياسية والاجتماعية ومن قبل عامة الشعب؛ وقام الشهيد "السيد حسن المدرس" بمعارضة هذه الاتفاقية والتنديد بها، وكشف الخطط وفضح المؤامرات التي تحاك ضد هذا البلد من قبل الاستعمار والانكليز بصورة خاصة.

وازداد التوتر ضد الحكومة وامتد على أوسع نطاق، إلى أن قام الشعب بثورتين كبيرتين في شمال البلاد وجنوبها، فاضطرت الحكومة إلى اتباع أسلوب القمع والإرهاب. ونتيجة لهذا التوتر وهذه المعارضة والضغوط الداخلية، عمد «وثوق الدولة» إلى تجميد هذه الاتفاقية وإحالتها إلى البرلمان، وأمام هذا الوضع

الخانق لم يرَ «وثوق الدولة» حلاً لنفسه سوى استقالته من منصبه؛ فقدم استقالته وحل محله «مشير الدولة»، السياسي المحنك لكن هذا الآخر استقال فيما بعد.

لقد برزت ظاهرة الاستقالات هذه بشكل واسع عند الوطنيين بعد انتفاضة الدستور، فكانت الحل الوحيد للحفاظ على مكانتهم في الأوساط السياسية؛ وبذلك حققوا لأنفسهم النجاة وتركوا البلاد في هول الفوضى.وبعد سنتين من انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج القوات الروسية من البلاد ظل الشعب ينتظر إقامة الأمن والاستقرار، وإعادة البناء والإعمار لما خلفته تلك الحروب المدمرة من قبل الحكومة الحاكمة.

لكن بريطانيا رغبت في إشعال فتيل انقلاب يخدم أهدافها ويؤمن مصالحها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فهيأت الأوضاع لانقلاب عسكري بقيادة "رضا خان"، ليؤسس حكومة تقضي على كافة التحركات الوطنية والدينية باسم إجراءات الأمن والحفاظ على الاستقرار. فالقوات البريطانية واجهت إبان الحرب العالمية الأولى ثورتين عارمتين في الشمال والجنوب إثر تواجدها في إيران واحتلالها إياها وبناءً على هذا فإن استمرار وجودهم في البلاد قد يتسبب في انفجار انتفاضات جديدة، كما أن بريطانيا كانت على علم بطاعة الشعب لعلماء الدين المجاهدين،

وعلى معرفة كاملة بقوة وصلابة أولئك القادة،وخير مثال لهم موضوع الحركة الدستورية وفتوى تحريم التنباك ..

وبالفعل وقع الانقلاب ودخلت قوات "رضا خان" العاصمة في اليوم الثالث من الشهر السابع من عام 1299 هجري شمسي (الموافق 1920م)، وفرضت الأحكام العرفية.

بعدها أصدر السلطان "أحمد شاه" قرارين ينص أحدهما على تعيين "السيد ضياء الدين"[6] رئيساً للوزراء والآخر يقضي بتنصيب رضا خان قائداً عاماً للقوات المسلحة. وأعلنت الحكومة الجديدة عن إلغائها لاتفاقية 1919م التي كانت قد أثارت ضجة كبيرة وعارمة في الداخل والخارج، مما جعلها تكسب الجماهير وأبعدت عنها أية شبهة تربطها ببريطانيا.

وثمة نقطة هامة لا بد من ذكرها وهي أن كثيراً من الكتّاب والصحفيين والشعراء القوميين المتشددين، وبعض رموز السياسيين، أيدوا هذا الانقلاب بلهفة وشوق كبيرين، رغم وجود عدد كبير من المعارضين لهذا الانقلاب والمنددين به كالشهيد "حسن المدرس" وغيره.

وعندما نقرأ الفقرات التالية من كتاب الإمام الخمينيقدس سره، نرى أنه كان يشير إلى هؤلاء المفكرين السياسيين المغفلين الذين لا يعلمون شيئاً عن مجيء رضا خان للوسط السياسي، حيث يخاطبهم قائلاً:

«لقد استنكرتم وبأجمعكم اتفاقية وثوق الدولة (1919م) وشجبتم

أعماله ولكم الحق في ذلك، لكن بعد أيام قلائل. كما تعلمون. أعيدت الكرة بزي آخر وقناع ثانٍ أمرّ من ذي قبل فحملتم على عاتقكم مسؤولية إسقاطها وإسقاط من نادى بها باسم تقدمية العصر وباسم التطور والحضارة».

ومنذ الإنقلاب وحتى وصول "رضا خان" إلى رئاسة الوزراء عام 1924م سبقه خمسة رؤساء بحكومات مختلفة الأعضاء بينما كان يشغل هو منصب وزارة الدفاع طيلة تلك المدة إلى أن ثبّت جذوره واستطاع أن يرتقي إلى منصب رئاسة الوزراء؛ وأول ما قام به هو إعداد جيش قوي جرار، أغدق عليه الأموال الطائلة وجعله تحت إمرته بالكامل.

سلطنة رضا خان ومواقف الإمام بوجهها

وفي عام 1926م أرسلت لائحة إلى البرلمان - الذي كان يحظى رضا خان فيه بتأييد ودعم من أكثر نوابه - تفيد بإلغاء السلطنة القاجارية وإحالة عرشها إلى رضا خان - رئيس الوزراء - مؤقتاً؛ ولم تلق هذه اللائحة إلا رداً عنيفاً من قبل السيد حسن المدرس الذي ترأس مجموعته ذات الأربعة عشر عضواً؛ ووقف منددا بهذه اللائحة وصاح: لئن حظيت هذه اللائحة بمئة ألف صوت فهي مخالفة للقانون، وخرج من البرلمان دون أن يلقي كلمته؛ لكن رضا خان استطاع من خلال

عناصره في البرلمان أن يمسك زمام السلطنة عام 1926م.

وأشاد الإمام الخميني قدس سره بمواقف السيد حسن المدرس أكثر من مرة قائلاً:

«... ذلك اليوم الذي برز فيه رضا خان على ساحة الأحداث ونفذ تلك المهمات.. نحمد الله على وجود السيد حسن المدرس في البرلمان حيث كان هناك صوت يجابه رضا خان، وكان هذا الأخير يدعي عدم وجود المخالفين، هذا الصوت هو صوت المدرس، وبعض الذين التفوا حوله!!.. فكيف توجد مقاومة في البلاد ضده وتقف بوجهه؟ ولكنه الشهيد المدرس الذي وقف أمام الجميع وصرخ بوجهه «لا»...».

والمتتبع لمؤلفات وخطابات ونداءات الإمام الخميني قدس سره يلحظ أن هناك اهتماماً كبيراً يبديه تجاه السيد المدرس، منذ أول تأليف له - أي كشف الأسرار عام 1944 - وحتى خطبه في عصر الثورة الإسلامية كان الإمام يتطرق خلالها إلى حياته أحياناً، وينهال عليها بالمدح والثناء. جاء في إحدى خطبه ما يلي:

«... المدرس.. كان إنساناً بكل معنى الكلمة؛ فحياته هي كما سمعتم عنها وقد رأيتها بأم عيني؛ حتى أنه عندما اختير ليكون أحد الأعضاء الرئيسيين في البرلمان واستوجب ذلك وجوده في طهران، انتقل من أصفهان إلى طهران بواسطة عربة ابتاعها من أصفهان لهذا الغرض وباعها عند وصوله إلى طهران.. ويتصف منزله بالبساطة التامة،

وكانت حياته متواضعة ودون العادية.. وعرف بارتدائه الليف الذي كان يرمي من خلاله إلى هدف سياسي سام، ليُعبر عن مدى اهتمامه ببلده واعتماده على ما ينتجه بيده، ولكي يعطي درساً بالاعتماد على النفس، وعدم الاتكال على الغرب...».

لقد شيّد رضا خان سلطنته على ركيزتين:

1 ـ الجنوح للقومية:

التي تهدف إلى انتزاع الإيمان من قلوب الناس ومسخ التراث الإسلامي ومحو صورته من ذهن الشعب الإيراني ومن التاريخ، وزرع بذور العنصرية والإلحاد مكانها؛ وأقام مجالس وحفلات فخمة في طهران لإحياء سنن الماضي، وإعادة التراث الساساني في العهد المظلم البائد كما أبدى أسفه لتعرض هذا التراث إلى هجوم المسلمين، والإمام ﵜ أشار بدوره إلى تلك الحفلات قائلاً:

«... لقد سُبَّ الرسول الأكرم ﷺ في زمن ذلك اللعين علناً وفي الصحف اليومية.. وعُقدت مجالس ومحافل انتقد فيها الإسلام، وتأسفوا لانتصاره على الشرك (الساسانيين)، وأخذ المتمدنون يصبّون الدموع ويجرون الحسرات بسبب انتصار الإسلام على يزدجرد الثالث.. اولئك.. شعراؤهم وكتّابهم كتبوا، وخطباؤهم خطبوا ...».

2 ـ التجدد والتمدن الذي قام على ثلاث ركائز:

أولاً: طي العادات والآداب والرسوم والتقاليد الإيرانية الوطنية

والإسلامية والضرب بها عرض الحائط؛ على أنها عامل التخلف والرجعية.

ثانياً: تقوية التعلق والشغف بالحضارة الغربية بما فيها من تقاليد وآداب وسنن..

ثالثاً: العمل على بث وتطبيق هذه التقاليد والآداب والسنن في البلاد.

من هنا نبعت الحاجة إلى حكومة قوية شرسة تفرض ما تريد من أفكار ومعتقدات إلحادية ومادية بالقوة وحد السيف؛ وفسحت حكومة رضا خان المجال لدعاة التجدد والتمدن فأخذوا يبثون أفكارهم السامة بقوته وبطشه.

وقد أشار الإمام قدس سره إلى تلك الوجوه التي تقنعت بقناع رضا خان قائلاً:

«من المستبعد ومن المستحيل أن تكون خطط كهذه صادرة عن فكر وعبقرية رضا خان الذي عرف بعقله المتحجر، ولهذا فهي بالتأكيد مخططة ومرسومة من أفراد آخرين..».

وأغدق "رضا خان" النعم على حاشية البلاط ومن لف لفهم وأجرى لهم العطاء بشكل فاحش وقد أطلق الإمام قدس سره الراحل على أولئك لقب «عباد الشهوات والمناصب». وكان ينتقدهم بسبب عدم اهتمامهم بأماناتهم الوظيفية، وعرقلة معاملات الناس فيقول:

«جدير بكم أن تلاحظوا وتدرسوا الوضع القائم في البلاد؛ فانظروا أولاً إلى وضع البلاط المؤسف، ثم انتقلوا إلى الوزارات، وإلى رجالات الدولة فرداً فرداً، ومن بعد ذلك إلى الجيش، والقوات العسكرية، وقياداتهم، ثم أنزلوا درجة وشاهدوا رؤساء الدوائر وسائر الموظفين، والجيش في جميع المدن، ثم إلى أعضاء البرلمان الوطني، وأعضاء الهيئة التشريعية؛ وانظروا إلى من هم أقل شأناً منهم، من أولئك الذين يحرسون الأزقة والشوارع، أو من هم أكبر منهم شأناً إلى آخر ما ترون، فإنكم لا تشاهدون إلاّ وضعاً مأساوياً قائماً على التخيلات والأباطيل، والمظاهر الزائفة، والشهوات، والرغبات، ولا ترون إلا الجنايات والخيانة!! انظروا! وشاهدوا واعقلوا! أين تذهب ميزانية هذه الحكومة؟! أين تنفق ومن أين تأتي؟...».

وفي مجال آخر انتقدقدس سره وضع الدوائر لما تبذره وتسرفه لأجل الزينة والإنارة المفرطة وغيرها في الوقت الذي يعاني فيه المحرومون من أبسط حقوقهم الإنسانية فيقول:

«... اليوم، ناهيك عن ثقافة البلد وما آلت إليه..!! وما ينفق هنا وهناك، تعالوا، وانظروا إلى الفساد الإداري!... انظروا إلى الفجائع المتعاظمة والجرائم المتلاحقة!.. انظروا على سبيل المثال إلى وزارة الصحة وإلى ممارساتها ماذا قدمت للمحرومين والمرضى والمستضعفين، لقد كرست كل نشاطاتها ومساعيها لصالح المظاهر،

والكماليات... إنك لا ترى إلا أنواع الأبنية الشاهقة والعمارات الفخمة، ومعظم المصاريف والنفقات تذهب لزراعة الورود فيها وتنسيق حدائقها، في الوقت الذي يلوذ فيه المرضى بالمساجد والأزقة، وهم يئنون من وطأة المرض، وعدم توفر العلاج والإهمال، إن هذه الوزارة تهدر سنوياً الملايين لقضايا واهية، والكل يعلم ذلك بما فيهم الكتاب والصحفيون، ولكن لا أحد يتكلم، ولا أحد يتنفس.. لا لشيء بل لأنهم من هذه البطانة ذاتها، وإذا وجد من بينهم شخص متحمس، أو معارض... فالويل كل الويل له إذا نطق بشيء، أو أعرب عن معارضته لشيء من هذا القبيل...».

وعلى الرغم من تصريحات الإمام قدس سره هذه، وتنديداته وانتقاداته للموظفين والمؤيدين في زمن رضا خان، فإنه وبالوقت نفسه مدح وأثنى على الصلحاء والشرفاء في تلك المرحلة وما بعدها قائلاً:

«... نحن نمدح ونقدر موظفي الحكومة في الدوائر، والذين يعملون بإخلاص متناهٍ لوطنهم ولشعبهم، والذين يؤدون دورهم الخالد من خلال وظائفهم الرسمية، نشكرهم ونقدرهم لأنهم قاموا بواجبهم الشرعي خير قيام، وتقيدوا به وهم أناس مؤمنون حقاً؛ ففي ذلك الزمن الديكتاتوري كانت هناك ثلة مؤمنة من الموظفين، وأصحاب الأعمال في الحكومة، وكنا نعتقد ونؤمن بوجوب وجودهم ضمن ذلك النظام، وكنت أعتقد بأن خروج هؤلاء من وظائفهم، أو تركهم لها هو

عمل مناف لواجبهم الديني والشرعي؛ وعلى كل شخص يحظى بأي واحد من أولئك، عليه أن يقربه منا ونحن نستقبله بصدر رحب ووجه باسم وبشكل أخوي بل وباعتزاز...».

ولقد وصلت الجرأة برضا خان أن هدَّم أمكنة عريقة تضم آثاراً قديمة، لها ارتباط وثيق بالتراث الإيراني والإسلامي الأصيل؛ بحجة شق طرق جديدة تساهم في إصلاح الوضع الاقتصادي ولقد قام بدعاية مكثفة لمنجزاته التي كانت في الحقيقة مشاريع صورية خداعة، وبعيدة كل البعد عن النفع والفائدة الوطنية والشعبية.

وللإمام الراحلقدس سره عبارات ساخرة يُحَجّم بها شخصية رضا خان فيقول:

«... إن رضا خان ومن لفَّ لفه لا يعرف أن يحرر كلمة «روحاني»[7] ويخلط بين حرف الحاء وحرف الهاء نظراً لتشابههما باللفظ (باللغة الفارسية).. ذلك الشخص الذي قال: الجندي السارق عندي أفضل من جميع ثقافة إيران وعلمها... إنه حقاً لم يكن يعرف ما هو العلم! وما هي الثقافة! لأنه لا يعرف معنىً للصلاح والفساد...».

وإن أسوأ عمل قام به "رضا خان"؛ مدعياً بأنه من المقومات الأولى للخروج من الرجعية، والتخلف، هو مسألة تبديل الزي، ونزع الحجاب الذي فسح مجالاً واسعاً للفساد والانحطاط في المجتمع، مما أدى لارتفاع وانتشار الصيحات والصرخات في جميع أرجاء الوطن.

ولقد أصدر البرلمان مرسوماً تشريعياً عام 1929م. يقضي بإجبار جميع الموظفين بارتداء الزي الموحد، وقد نص البند الأول بارتداء الزي الموحد من قبل كافة أفراد الشعب ابتداء من العام الشمسي الجديد.

وعلى إثر هذا القانون راح رجال الشرطة والحرس يتعرضون لعلماء الدين وطلبة المعاهد والمدارس الدينية ويهتكون حرمة الزي الإسلامي، بحجة تطبيق القانون، وتحت عنوان حركة إصلاح الحوزة وتمييز المتفوقين من غيرهم حاك "رضا خان" مؤامرة. كان الهدف الحقيقي من وراءها مؤامرة تقليص عدد الطلبة، وضبط تحركاتهم والهيمنة على الحوزة العلمية بغية تدميرها وإذلالها، وهذا ما أعلن عنه الإمام الراحل قدس سره في حينها، حيث أعرب عن سوء نوايا النظام الحاكم إزاء هذا القرار. وخالفه مخالفة صريحة، فأكد في إحدى خطبه قائلاً:

«... كثير من الناس يذكرون ما فعله رضا خان ضد العلماء باسم إصلاح الحوزة وتطويرها. لقد شكلوا حلقات الامتحانات في المدرسة الفيضية وغيرها، وشاهدنا كيف راح أتباعهم يحضرون بجدية تامة للامتحانات. ومن المؤسف والمؤلم حقاً أن بعض رجالنا وعلمائنا قد خدعوا بهذه الأقاويل والخطط والإدعاءات، وظنوا أنهم يريدون تمييز الطلبة المتفوقين من المهملين وأن يبرزوا ويحددوا الطالب اللائق الذي يجب أن يتحلى بهذا الزي، حتى أن بعضاً من كبارنا في قم راح ضحية

هذه الادعاءات؛ فقال في معرض تعليقه على ذلك: «وهذا أمر ليس فيه بأس أن يفرزوا الجيدين عن الكسولين، فليعينوهم وليبعدوهم عنا»؛ عندئذٍ أجبته بالإيجاب، وقلت له صحيح: أنهم يعنون المتفوقين منا دون المتخلفين؛ لكنهم لا يريدون بهذا طرد المتخلفين عنا، بل يريدون طرد وقمع المتميزين منا، وهذا ما حصل فعلاً فيما بعد..».

من جانب آخر نرى الإمام الخميني قدس سره يؤكد في كتابه "كشف الأسرار" تأييده لفكرة تمييز الطلبة الجادين من المتخلفين، ولكن كان يرى أن "رضا خان" ومن حوله بعيدون كل البعد عن هذه المسألة وعن الحوزة وما يخصها فيقول رضوان الله تعالى عليه:

«نحن لا ننزه هذه الطبقة من المجتمع بكاملها وبجميع أفرادها، بل نرى من الضروري أن نخطو خطوات جادة لإصلاح وتعديل الحوزة؛ فهؤلاء مثل باقي طبقات المجتمع فيهم الجيد، وفيهم السيء.. لكن هذا ليس مدعاة أن يأتي رجل كرضا خان، الذي لا يعرف إنشاء كلمة «روحاني» ولا يعلم أبالحاء تكتب أم بالهاء. نظراً لتشابههما اللفظي في اللغة الفارسية. أن يأتي ويميزٍ الجيد من الرديء ويحدد للحوزة ما ينفعها وما يضرها... حقاً فهو لا يميز بين الصالح والطالح أبداً، وكل ما في الأمر أنه يريد بذلك أن يقتلع جذور الحوزة، وعلماء الدين من أصلها..».

واستمر رجال الشرطة والأمن والحرس بمضايقة المعممين وعلماء

الدين في كل مكان بحجة أنهم مأمورون لأداء الخدمة، وكانوا يطلبون منهم الوثائق المصدقة من وزارة الثقافة، ومن لم يبرز وثيقة مصدقة يرفعون عمامته على مرأى جميع الناس ويسوقونه قسراً إلى مركز الشرطة.

ولقد تحدث الإمام عن هذا الوضع في خطبة فقال:

«... لاحظوا المدرسة الفيضية التي كانت تضم من ستمئة إلى سبعمئة طالب يفرون جميعهم نهاراً إلى الحدائق والبساتين ويعودون مساء، لماذا؟ لأنهم يخشون أن يقعوا فريسة للشرطة والحرس فيهينوهم ويعرضوهم للأذى والسجن... وحتى علماء طهران كانوا يأخذونهم إلى مراكز الشرطة، ويهينوهم ويمزقون ملابسهم وعمائمهم، حتى لا يستطيعوا الخروج من هناك...».

ولقد أقدم "رضا خان" في سياق مشروعه الرامي إلى إقحام الفرد الإيراني لتقليد نمط الحياة الأوروبية، بأن عزم على تغيير القبعة المستديرة الشكل، وكان يقول: «يجب على الإيرانيين أن يصلوا إلى درجات الغربيين العليا، وأن يعوا جيداً بأن ترقيهم وتقدمهم ـ روحياً وجسدياً ومعنوياً ومادياً ـ لا يسير بوتيرة عالية ولا يتكامل إلا بتغيير هذه القبعة.

وهنا يقول الإمامقدس سره في كتابه "كشف الأسرار":

«... نحن لا نكلم ولا نخاطب أولئك الجهلة الذين يعتقدون بأن

قبعة الأوروبيين (المستعمرين) هي أساس التقدم، ونحن أيضاً لا نتوقع أن يعوا ويسمعوا ما نقول لأن الأوروبيين سرقوا عقولهم...

ففي ذلك اليوم الذي ارتدوا فيه القبعة المعروفة بقبعة بهلوي كانوا يقولون: يجب على الدولة أن ترفع شعار الوطنية، والاستقلال والقومية في الملبس. فهذا دليل على استقلال البلاد والحفاظ عليها؛ لكن بعد فترة وعندما أبدلوا تلك القبعة بالقبعة الأوروبية تغير الكلام فجأة وأخذوا ينادون بمجاراة الأجانب واتباع سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع كي نكون مثلهم من عظماء العالم.

ولكن نسوا أن البلاد التي تكون عظمتها بقبعتها، هي عرضة للسرقة والاختطاف في أي وقت كان، ما دامت هذه القبعة قابلة للتغير والتبديل.

والأجانب وفي جميع هذه المراحل إنما وضعوا القبعات على رؤوسكم ومن ثم رفعوها وأبدلوها ووضعوا غيرها، يريدون بهذا أن ينظروا إليكم من بعيد ويشغلوكم بهذه التفاهة كي تتحقق جميع أهدافهم في البلاد، بينما أنتم غائصون في بحر المظاهر والتقليد، وهم ينظرون إليكم كما ينظرون إلى الأطفال ويضحكون؛ قضيتم أيامكم وحياتكم بهذه التفاهات وأخذتم ترتدون القبعة الأوروبية، وتسيرون في الشوارع وتقضون أوقاتكم مع العاريات الفاحشات، وتفخرون بهذا أشد الافتخار، ونمتم في غفلة كبيرة عن البلاد وعرضتموها لغدرهم،

فسلبوا جميع مفاخركم، وتراثكم وثرواتكم من الخليج الفارسي إلى بحر الشمال، وسحبوا البساط من تحت أرجلكم، وأوصلوكم إلى مثل هذا البلاء...».

لم يقف رضا خان عند هذا الحد من إصراره على مسخ الهوية الذاتية للمجتمع الإيراني المسلم فيذكر لنا محمود جم ـ رئيس الوزراء آنذاك ـ في مذكراته حواراً دار بينه وبين رضا خان هذا نصه:

« ... التفت إليّ رضا خان وقال: كيف يمكننا أن نقضي على هذه الشوادر (الحجاب الشائع للنساء في إيران). إنها فكرة تدور في ذهني منذ عامين بعد أن رجعت من تركيا، وقد رأيت نساءها كاشفات متبرجات يحذين حذو الرجال أينما كانوا، ومنذ ذلك الوقت كرهت هذه السواتر، والعباءات، وكرهت كل من يرتديها، فهي عدو لدود للتقدم والتطور لشعبنا ..».

ويستمر في مذكراته قائلاً: كان رضا خان يقول: «الأفضل أن تكون عائلتي هي المتطوعة الأولى لتنفيذ هذه الفكرة». لذا قرر أن تحضر زوجته وابنتاه وجميع زوجات الوزراء ورجالات الدولة الاحتفال الذي سيشهده المعهد التعليمي ليوم افتتاحه عام 1935م؛ وبالفعل تحقق الأمر يوم الافتتاح، فحضرت زوجته وابنتاه الحفل بدون ستر أو حجاب، وكذلك حضرت نساء رجالات الدولة بصورة مماثلة، فبدا انتعاش البعض لدى رؤيتهم هذا المشهد المثير والمغري، مشهد النساء

الكاسيات العاريات وخاطبهم رضا خان قائلاً:

«... استطعنا أن نحطم قيود الزنزانات والسجون، والآن وبمساعدة السجناء الذين أطلق سراحهم، سوف نبني صرحاً كبيراً بدل تلك الأقفاص والزنزانات». ثم أوصى بعد ذلك المعاونين والوزراء أن يصطحبوا نساءهم بهذه الهيئة كل أسبوع إلى النوادي والحفلات.

لاقت هذه الإصلاحات المزعومة صرخات كبيرة ومدوية من علماء الدين، والحوزات العلمية بأسرها، وبخاصة من الإمام الخميني قدس سره الذي واجهها بشدة وصرامة فقد تقدم جمع غفير من فضلاء الحوزة وعلى رأسهم الإمام قدس سره المعروف آنذاك - بالسيد روح الله آقا - إلى مسؤول الحوزة المرحوم الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري، بطلب يقضي بإرسال برقية إلى الحكومة، فليس ثمة حلّ أفضل من هذا الحل؛ فالحجاب ضرورة شرعية والدفاع عن المعتقدات والدين واجب مقدس.

بناء على هذا أبرق آية الله الحائري تلغرافاً مختصراً إلى رضا خان جاء فيه: «إن الحجاب هو من ضروريات الدين، ومسألة السفور يجب ألا تكون جبراً وقهراً و...» فواجه هذا التلغراف رداً بشعاً من رئيس الوزراء وآخر عنيفاً من رضا خان.

لكن الإمام قدس سره لم يسكت أمام هذا الواقع وأشار في كتابه "كشف الأسرار" إلى هذه الخطط والمؤامرات المدمرة للشعب والتي يدعي

"رضا خان" بأنها المظهر الحضاري للبلد، وكشف أهدافه الحقيقية قائلاً:

«... نحن نقول ونؤكد بأن هذه الدولة والحكومة هي دولة كفر وظلم، والذي يساندها فهو أكثر كفراً وإلحاداً، وهل هذه حكومة؟ الحكومة التي تصفُ الآلاف من الناس والمظلومين وترشقهم بالرصاص لأجل تغيير قبعة وتبديلها أهي حكومة؟

ما هذه الحكومة المخالفة للعدالة والدستور؟ ما هذه الحكومة التي تطلق المتوحشين والظلمة على العفيفات والمحترمات من النساء في كل مدينة وقرية و.. فيهتكون أعراضهن ويعتدون عليهن مستخدمين القوة والعنف؟ هؤلاء الأوغاد الذين جعلوا النساء المحجبات هدفاً لركلات أرجلهم وأحذيتهم!!، فكم وكم كسروا أضلعهن وأجهضوهن!!.. ما هذه الحكومة الظالمة؟ فهي وكل من يعينها ويساندها كافر وجاحد بالله.. ما هي تلك الصحف والمجلات التي تساند الحكومة وتساند "رضا خان" الديكتاتور الظالم أشد المساندة وبخاصة في قضية السفور الهدامة للشعب وللثقافة الإسلامية؟ يجب أن تلم وتحرق جميع تلك الأوراق المؤيدة للديكتاتور في الشوارع والميادين أمام الناس..

عموماً يجب على الناس أن ينظروا إلى تلك الصحف والمقالات المساندة والمؤيدة لحركة رضا خان بعين الحقارة، وأن لا يعتبروها إلا أقل شأناً من الأوراق المهملة والقذرة؛ تلك الأوراق والصحف والمقالات

التي لا تحمل معها إلا أفكار رضا خان المنحرفة وهي أخطر بكثير من أمثال أحمدي دكتور السجناء السياسيين الذي كان يقتلهم عبر زرق الهواء بشرايينهم سراً وخفية. ومختاري الجلاد رئيس شرطة رضا خان على الشعب والوطن؛ فإذا كان أحمدي يقتل أفراداً وأشخاصاً معدودين فإن هذه الصحف والمجلات تقتل المئات من الناس الأبرياء بما حوته من أفكار سامة ودسائس؛ وليعلم الشعب أن غرز أقلام هؤلاء تعادل مئات المرات من غرز إبر أحمدي وأمثاله.

.. وإن من سار على نهج الاستعمار وحقق لهم مآربهم هو ذلك الديكتاتور الذي صنعوه كنظيره السابق أتاتورك، فهؤلاء هم الذين نفذوا جميع خططهم بالقوة والعنف، فرضا خان كان يضغط على الشعب بقوته وقسوته من جهة، ومن جهة أخرى كان يفسد أفكار الناس (بالكاريكاتورات) الصحفية والمجلات، إضافة إلى ذلك ضغطه على العلماء وضبط تحركاتهم وإشاعة الفساد والفحشاء والسفور، وبث دعاية العشرة والمؤانسة؛ وكذلك مسألة تغيير القبعة، والسينما والتمثيل، وإلى غير ذلك من الألاعيب التي يخدع بها الشعب على أنها الطرق الحضارية الأصيلة للتقدم والرفاه، ولرفع المستوى الحضاري للبلاد وأن الدين هو المانع لهذا؛ وبهذه الحيل والألاعيب جعلوا الناس يتذمرون من العلماء وكانوا يريدون من ذلك إبعادهم عن الإسلام؛ إنهم لعبوا بأفكار الشباب اليافعين والمراهقين الذين يعيشون قمة

الشهوات والنزوات، وخلطوهم بالفتيات المتبرجات ولوثوا أدمغتهم بأنواع الموسيقى المطربة والمهيجة، وربوهم على أيدي أولئك الأساتذة المنحرفين، وأخرجوهم عن ربقة الإسلام والدين، وانحرفوا بهم عن العلائق الزوجية المشروعة، إلى ساحات الانحراف والفساد في كافة أرجاء الوطن...».

إصطدام رضا خان مع علماء الدين

أدت إجراءات "رضا خان" فيما يخص الشأن العلمائي إلى وجود ظاهرة عزل العلماء أو استقالتهم من مناصبهم القضائية، وأثرت بشكل واضح وجلي على نشاطهم، وتماسهم مع العامة وعملت على تقليم أظافرهم، وإبعادهم عن الساحة السياسية نوعاً ما، علماً أن منهم من استطاع أن يمسك بكرسيه ومهمته، ويواجه الصعوبات والمضايقات الكبيرة إلا أنه مع ذلك أصبح مجمداً في نطاق دائرته ومهمته، ولا يؤدي منها سوى الطابع الرسمي والشكلي لها؛ وعلى أي حال فإن هذه التهديدات والتوعدات والإهانات العلنية للعلماء ولرجال الحوزة العلمية التي كان يرسلها "رضا خان" من فترة إلى أخرى تعني وجوب عدم تدخلهم بشؤون السلطة، والسياسة، وإدارة البلاد وكل ما يصدر عنه. وعندما طرح رضا خان مسألة التجنيد الإجباري لطلبة الحوزات العلمية من خلال قرار أصدره البرلمان عام قام علماء مدينة

أصفهان باعتراضهم الظاهري وكانوا يريدون بهذا كسر حاجز الصمت والسكوت أمام رضا خان وفتح مجال الاعتراض والانتقاد مقابل تجاسر الحكومة وعنفها، وخرجوا من أصفهان يرأسهم المجاهد الشيخ آغا نور الله الأصفهاني متوجهين إلى مدينة قم.

وبقي هؤلاء جميعاً في مدينة قم لعدة أشهر وقدموا مطالبهم لأعضاء البرلمان؛ والتي كانت تشتمل على إعادة النظر في مسألة التجنيد.

وراح "رضا خان" يتهيب ويتخوف من حدوث ضجة كبيرة لدى الشعب قد تؤدي إلى الثورة عليه من جراء هذا الاجتماع الكبير.

وفجأة فجعت الحوزة بوفاة المرحوم الشيخ آغا نور الله ـ وقد ذهب البعض إلى أنه قتل مسموماً بواسطة طبّاخه، أو طبيبه، بأمر من رضا خان ـ وانشق اجتماعهم واعتصامهم بما فيهم العلماء المهاجرون من المدن الأخرى واغتنمت الحكومة هذه الفرصة وألقت بمطالبهم في عالم النسيان.

وعلى مدى هذه الفترة كان إمامنا الراحل قدس سره ـ الذي لم يبلغ من العمر إلا ستة وعشرين عاماً ـ على صلة دائمة بهم وعلى هذا فهو على علم كامل بما جرى من حوادث جمة وكبيرة في ذلك الوقت، وبما قام به "رضا خان "من خداع ومكر لإبادة كيان ذلك المجتمع الكبير، ويتطرق الإمام لهذه الحوادث عدة مرات ومما جاء في إحدى خطاباته:

«في زمن ذلك الرجل الجاهلي.. رضا خان السفاح القذر، قامت ثورة عارمة من قبل العلماء في أصفهان وشهدناها نحن بأم أعيننا؛ قدم علماء أصفهان إلى قم، وتبعهم آخرون من سائر المدن الأخرى واجتمعوا فيها، ونددوا بالنظام، واعترضوا عليه، وانتقدوه؛ لكن تفرقهم، وتشتت آرائهم أدى إلى ضعفهم وعدم سيطرتهم على الموقف، فتبدد كل شيء، على إثر الخداع والمكر والحيل وغيرها..».

وبعد شهرين من نهضة علماء أصفهان حدثت واقعة أخرى اصطدم فيها رضا خان مع علماء الدين. ففي مراسم بداية العام الشمسي الجديد 1307 (1929م). دخل رضا خان مع زوجته وبناته . وهنّ سافرات متبرجات . إلى مرقد السيدة معصومة[8] في مدينة قم ولاقى اعتراضاً وانتقاداً شديدين من عامة الناس والزوار، بالأخص من المجاهد الشجاع الشيخ محمد تقي بافقي؛ ومباشرة ودون تأنٍ، أحضر رضا خان الشرطة والحرس، والضباط، ودخل الحرم، وبعد أن دخل هؤلاء الأوغاد إلى الحرم، انهالوا على الناس والزوار بالضرب والشتم، وبددوهم عن آخرهم، وأما الشيخ بافقي الذي عمل طبقاً لوظيفته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أحضروه أمام رضا خان، وأخذ هذا الأخير يتطاول عليه بالسب والشتم والضرب أمام الجميع وبالحرم المقدس، ومن ثم أمر جلاديه أن يزجوه في قعر السجن، حيث لبث في السجن إلى أن توسط الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي له

وأخرجه من زنزانات رضا خان، وقطن منطقة السيدعبد العظيم، فوضعوا عليه رقابة مشددة، وبقي فيها حتى انتهاء حياة رضا خان السياسية، بعد أن وافاه الأجل عام 1942م.

كان إمامنا الراحل يشيد بهذا الشيخ الجليل والمجاهد والمتقي ويكن له الاحترام الكبير، يروى بأن الإمام كثيراً ما كان يذكر هذا الشيخ أثناء إلقائه درس الأخلاق في المدرسة الفيضية، وكان يقول بحقه:

«على كل من يريد أن يحظى بزيارة مؤمن خضعت له الشياطين وطأطأت له، فليذهب إلى ناحية الريّ، بعد زيارة السيد عبد العظيم فليزر الشيخ محمد تقي بافقي».

وفي تبريز قام آية الله ميرزا صادق آغا وآية الله السيد أبو الحسن أنكجي بالمعارضة وبدون أي تأنٍ صدر قرار بإلقاء القبض على هذين العالمين المجاهدين وقد أبعدا إلى محافظة كردستان. وبعد انتهاء فترة النفي هذه اتخذ آية الله ميرزا صادق آغا من قم سكناً له؛ وبوجود هذا العالم الجليل بهذه المدينة أخذ الإمام قدس سره يكثر التردد عليه ويتداول معه بما يجري من أحداث ووقائع وأمور تخص الحوزة والشعب، وحفظ الدين الحنيف، وأخذ يتزود من نظراته وآرائه؛ ويؤكد الإمام هذا الجانب بقوله:

«... في عهد رضا خان أيضاً حدثت ثورة في آذربيجان، تولاها المرحوم آغا ميرزا صادق آغا والمرحوم أنكجي و... لكن أبعدوهم عن

ديارهم فترات طويلة؛ وبعد إطلاق سراح المرحوم آغا ميرزا رغب الإقامة في مدينة قم، مع أنه كان يحظى بمحبوبية كبيرة في أذربيجان، وبقي طوال عمره في قم، وكنا نتنوّر بزيارته والتردد عليه دائماً...».

وأشار الإمام قدس سره في كتابه «كشف الأسرار» إلى مذبحة مروعة أقدم عليها رضا خان في سياق حربه مع علماء الدين ففي ظلام ليلة الأحد 12 ربيع الثاني 1354 هـ حيث فتحت النيران على الحشود المجتمعة في مسجد كوهرشاد في مشهد المقدسة من أعلاه ومن جوانبه وفي بضع ساعات تبدد ذلك الاجتماع العظيم وسط صراخات واستغاثات الجرحى وتراوح عدد القتلى ما بين ألفين إلى خمسة آلاف قتيل، كما بلغ عدد الجرحى حوالى ألف وخمسمائة جريح، ونقلوا مباشرة بشاحنات إلى خارج المدينة وألقيت جثثهم بما فيهم الجرحى في مقابر جماعية تحت التراب، وسيق البقية إلى السجون الانفرادية ويقول الإمامقدس سره: **«حكومة رضا خان حكومة الكفر والظلم وإن أعانتها هو الكفر بعينه».**

ويضيف الإمامقدس سره مشهداً آخر يرق له القلب مستعرضاً:

«... في تلك الانتفاضة التي قام بها علماء خراسان، ألقي القبض على المرحوم آغا زادة، والسيد يونس، وغيرهما من العلماء وزجوهم في سجون طهران، وأنا بنفسي شهدت المرحوم آغا زادة رضي الله عنه ... رأيته وهو جالس في جانبٍ من السجن بدون زيه وعمامته ولم يَسْلم من الرقابة

أيضاً. وكانوا يأخذونه بهذا الشكل إلى المحكمة ويمرون به في الشوارع وأمام الناس وقد جرد من لباسه الديني، ونزعت عمامته.

وفي هذا الوقت بالذات. الذي قام فيه العلماء المجاهدون. لم نشهد أي تحرك لأي حزب من الأحزاب الموجودة، فأين هم؟ وكأنهم مقبورون في القبور...».

هذا وبدأت الهجمة تأخذ أبعاداً أكثر ضد الدين والإسلام، لإبعاده عن التراث والشعب، وبموازاتها كانت تزداد دعايات الوطنية والقومية والعنصرية.

وبلغ الحدّ بهم إلى أن أقاموا حفلاتهم على شكل مسيرة أفراح، تطوف في الشوارع والطرقات كما يفعل الأوروبيون. وكانت النساء تُحمل على سطح الشاحنات أو العربات، أو الوسائط الأخرى وهن سافرات متبرجات متزينات، ترافقهن فرقة من الفرق الموسيقية وأمام أعين الجميع يقمن بالرقص والغناء جماعات جماعات ويمارسن الدعارة والفحشاء دونما أي عفة أو حياء!!!

وفي عام 1940م أصدر رضا خان أمراً بعدم طبع ونشر التاريخ القمري لئلا يعرف الناس تاريخ مراسمهم الدينية وشعائرهم الإسلامية.

ثم اتخذت الحكومة قراراً بتشكيل حوزة جديدة لتكون تحت مراقبتهم، لأجل إعداد وتهيئة خطباء ووعاظ تابعين لهم يخدمون

مـآربهم، ولأجل القـضـاء على الحـوزة العلمـيـة. فـأسـست مـدرسـة (سبهسـالار) ـ المعروفة اليوم باسم مدرسـة الشـهيد مطهري ـ وبخطوة أخـرى أكبـر. وإتمامـاً لما سبق لتهديم كيـان الحـوزة أُصـدرت تعـاليم جديدة:

أولها: إنشـاء مؤسسـة للوعظ والإرشـاد عـام 1937م بأمـر من وزارة الثقافة.

وثانيها: بناء «منظمة تنمية الأفكار».

هذه المنظمة التي أسست عام 1937م وشكل أفرادها من الجامعيين والمثقفين الذين يجتمعون كل أسبوع اجتماعاً واحداً يلقون فيه الخطب والكلمـات حول مـواضيع مـخـتلفـة. وكـانت تطبع وتنشـر هذه الكلمـات والخطب على شكل مقـالات؛ وتصب هذه الموضوعـات كلها في مجـرى واحـد وهو تـأيـيـد سـيـاسـة رضـا خـان واسـتنزاف الـدين والإسـلام وتشويهه، وبث الدعاية للتراث القومي الأصيل.

وقد تنبـه الإمـام الخمـينيﷺ طوال حيـاة رضـا خـان السياسـيـة والاقتصادية و... إلى أن هذه الخطط والخطوات، لم تكن تصدر عن شـخص رضـا خـان قطعـاً، وإنمـا هـي مخططـات استعـمـارية يخططها الأعداء من الخارج ويُدلّون بها إلى عمّالهم وأياديهم للتنفيذ، ذلك لأنهم عـاشـوا ودرسـوا البلاد الإسـلاميـة جيداً، وعرفـوا أن الموانع الأسـاسـيـة التـي تحـول دون أهدافـهم هـي مـشكلة الإسـلام، وعلمـاء الدين الذين

يمتلكون جذوراً طويلة تنفذ إلى أعماق قلوب الناس وأفكارهم من جهة، ودعم الجماهير لهم وتمسكهم بدينهم وعقائدهم من جهة أخرى. وبهذا يشير إمامناقُدِّسَ سِرُّهُ قائلاً:

«لقد أدرك الأوروبيون أن استعمار البلاد الإسلامية ونهب ثرواتها لا يمكن أن يتحقق بهدوء وصمت وطمأنينة، ذلك لأنهم وعوا العلاقة المتينة بين الشعب وبين طبقة العلماء والفقهاء، وعرفوا مدى تمسكهم بمبادئهم تجاه أداء تكاليفهم الدينية واستسلامهم لمفكريهم من الفقهاء، وهذه العلاقة ترجع بأجمعها إلى عنصر واحد وهو العلماء والحوزة اللذين لا يمكن للجماهير التخلي عنهما. لقد اصطدموا لأول وهلة بالعلماء في مسألة اتفاقية التنباك وأحبط المرحوم الميرزا الشيرازي خططهم وقلّم أظافرهم ولم يفلحوا بنيل أهدافهم؛ ومن وقتها تلقوا درساً لم ينسوه أبداً بنفوذ علماء الدين في الساحة السياسية والاجتماعية بالشكل الرهيب الذي يشكل حاجزاً يحول دون نهب ثروات البلاد وسيطرتهم عليها. على هذا راحوا يدبرون المشاريع والمخططات الواسعة للدخول والنفوذ بوجوه إيرانية من بيننا على أنها معادية للتدخلات الأجنبية ويسيرونها حسب رغباتهم ومشتهياتهم وما ترومه أفكارهم. وذلك لأجل إيجاد الفتن وشق عصا طاعة المسلمين، والتقليص من نفوذ علماء الدين في جميع المجالات، ومن ثم وفي النهاية إبعاد الجماهير عن الإسلام والدين.

وقبل عشرين عاماً من مجيء ديكتاتورية رضا خان أرادوا أن ينفذوا ديكتاتوريته بشكل تدريجي؛ فابتدؤوا بنقل ونشر الصحف وبدؤوا نفوذهم في إيران خلال هذه العشرين سنة ولما تنبؤوا بوقوع الحرب العالمية الأولى رأوا أن المجال ضيق جداً وقد يتسلط آخرون على البلاد وتذهب ثرواتها من أيديهم.

والمرحوم أحمد شاه لم يكن بدرجة تضمن لهم نجاح مآربهم فلم يروا شخصاً ملائماً لخططهم وأفكارهم إلاّ شخص رضا خان وقد سبقه بمهمته هذه ذلك المتهور (أتاتورك) وأجرى كل ما أرادوا بالقوة والعنف وبقوة السلاح ونشروا الصحف والكاريكاتورات وبثوا الدعايات لمحاربة علماء الدين والقضاء عليهم، ومن جهة أخرى أشاعوا الفحشاء والمنكر والبغي في أرجاء البلاد، ووُجِّهت أنظار الجماهير وأفكارهم إلى التجدد المزعوم والقبعة الغربية والسينما والمسارح، وما إلى ذلك والعمل على نزع الستر، وإشاعة السفور. وإقناع الناس بأن الرجعية **وعدم التقدم والتخلف هو كله من صنع أيدي وأفكار المعممين وعلماء الدين الخرافية... وبهذه الحيل والألاعيب ثبّطوا عزائم الجماهير وهممهم، وسمموا أفكارهم وشوهوا سمعة علماء الدين بعقائدهم وأفكارهم وأبعدوا الناس عنهم، إذ ألصقوا بالعلماء تهمة الابتعاد عن الدين.**

وأما طبقة الموظفين. فقسم منهم راح يتصل بالاستعمار وأذنابهم

ووقفوا ضد مصالح شعبهم ووطنهم، وآخرون وهم الأكثرية أخذت تتبدل أفكارهم تجاه الدين والإسلام، بسبب حصولهم على ترقيات وأوسمة، فراحوا يتأقلمون مع تلك الحثالات والوجوه المزيفة فتبدلت عقائدهم وأفكارهم، وأخذوا يبتعدون عن الدين أكثر فأكثر هرباً من اتهامهم بالرجعية والتخلف؛ لهذا سكتوا عن نهب الثروات وتهديم مصالح البلاد من أجل تحقيق رغباتهم؛ أما أولئك الواعون ، فمنهم من اعتزل العمل ومنهم من طرد من وظيفته، والذي استمر منهم بقي ضمن الأقلية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

إنكم وبأجمعكم رأيتم كيف قامت الصحف والمجلات بمهاجمة الدين والإسلام وتشويه سمعته، وكيف سممت أفكار قراءها.

من خلال هذا العرض أعتقد أنكم رأيتم تلك المسيرات الفاسدة والحفلات المنحرفة بألوانها المختلفة وأشكالها الفاضحة والتي عملت على ترويج الهجمات الدعائية ضد الدين والتدين. وأمام هجمة وسائل الدعاية والإعلام الشرسة هذه طيلة العشرين عاماً... لم يوجد أي متنفس لعلماء الدين، ولم يكن هناك طريق لنشر أفكارهم وبث الوعي الإسلامي والثقافة الدينية في صفوف الجماهير. فقد تسلط المجرمون على المدارس الدينية وأغلقوها، وأقاموا في بعضها مجالس الدعارة والفسوق والتي هي بدورها تعد أخطر من مجالس المخدرات، فمدرسة (مروي) الدينية التي خرجت الآلاف من العلماء والمدرسين

أصبحت مركزاً لإقامة الأرمن المسيحيين؛ ومدرسة (سبهسالار) أودعوها لتربية وتنمية مجموعة شباب، وباسم الدراسة والتدريس هيؤوهم لإدارة أعمال الدوائر، ولتبديل موظفيها بالتمام لصالحهم، ومن ثم نقلوا ممتلكاتها إلى الدوائر الرسمية وبقيت حتى الآن بعد رضا خان على ذلك الحال؛ كذلك خرّجوا خطباء ووعاظ إلى الساحة الجماهيرية وهؤلاء بدورهم حرّفوا أذهان الناس عن الدين ووجهوها إلى أهداف رضا خان التي هي في الواقع أهداف الاستعمار والغرب».

والإمامقدس سره أشار إلى الهدف الرئيسي الذي أدى إلى وصول رضا خان إلى سدة الحكم، وما أوكلوا إليه من خطط وأوامر لتنفيذ أهدافهم الاستعمارية. وهذه التجربة والخبرة السياسية الثمينة حصلت بعد دراسة، ومطالعة ومتابعة دقيقة ومستمرة لما جرى من حوادث ووقائع في عهد رضا خان. والإمامقدس سره ذكر هذا الجانب أكثر من مرة بقوله:

«كنت مراقباً لجميع الأحداث منذ انقلاب رضا خان وحتى اليوم».

وخلال زيارة جمع من الخطباء وعلماء الدين لسماحته أشار إلى أهداف الاستعمار عبر رضا خان ضمن خطاباته قائلاً:

«... هنا يجب علي أن أشير إلى نقطة هامة، وهي أن نتعلم دروساً وعبراً من خبراء الدول العظمى... هؤلاء درسوا أوضاع البلاد الإسلامية دراسة عميقة منذ ثلاثمائة عام وبخاصة بلادنا إيران؛ التي

يعتبرونها بحق أهم دولة بالنسبة لهم، فدرسوا كل ما لدينا من ثقافة وعلوم واقتصاد و... أكثر منا نحن... ويجب أن ننتبه بعد تلك الدراسة المكثفة التي أجروها إلى الأهداف التي يرمون إليها؟ وما الذي ينفعهم كي يستثمروه؟ وما الذي يضرهم فيتجنبوه؟ ما هي خططهم وسياساتهم للحركات والفرق المضادة لهم، والحركات والفرق الموالية وذات المصلحة.

فلننظر إلى إيران منذ انقلاب رضا خان ودخوله لها. وما أحتفظ به من ذكرياتي عنها. ولنر كيف أراد البريطانيون تنصيب رضا خان في السلطة وإلى حين خروجه من إيران، انظروا كيف تعامل البريطانيون مع الفئات والحركات السلمية، وكيف تعاملوا مع الحركات والفئات المعادية؟ نحن لا نشك بأن رضا خان لم يكن بمستوى طموحهم، ولعل كبار السن منا يتذكرون عندما سمعوا راديو دلهي الذي كان تحت سيطرة البريطانيين وقتها يبث تقريره ويقول: نحن الذين أوصلنا رضا خان للسلطة، ونحن الذين سحبنا هذه الصلاحية منه لأنه في أيامه الأخيرة أخذ يتردد على الألمان ويخالف أوامرنا.

هؤلاء كانوا على علم ودراية بأن رضا خان لا يملك أي حس سياسي وكل ما في الأمر أنه رجل شرس وذو سلطة وقوة ومن الممكن أن يصبح آلة بأيديهم. واستلم رضا خان السلطة بعد انقلابه المزعوم، وقضى على كثير من الرجالات والأفراد؛ بحيث أصبح المتتبع للأحداث يرى

بأن رضا خان بأعماله هذه يسير وفق خطة ومنهج مُدبَّرٍ من قبل. وابتدأ بالرياء والتظاهر أمام الشعب متقنعاً باسم الدين وبحضوره إلى مجالس العزاء، بل كان يقيمها بنفسه وكان يتردد من مجلس إلى آخر وهو حافي القدمين! واستمر على هذا المنوال إلى أن صعد إلى سدة الحكم وتسلم السلطة، فتغيرت أساليبه بكاملها فجأة.

والكثير منا يعلم أنه باديء ذي بدء خالف علماء الدين بعنوان التقدمية والحركة الإصلاحية... وتحرك أكثر على هذا النطاق وفرض الامتحانات في المدرسة الفيضية والتي شهدناها بأم أعيننا، والتي راح ضحيتها عدد من رجال الدين والعلماء، وخُدعوا بهذه الحيل والألاعيب، حتى إن أشخاصاً من كبار الحوزة أخذ هذا القرار مأخذ الجدّ، وصدقه تصديقاً كاملاً، لأنه يفصل الطلبة اللائقين عن غيرهم الذين لا يليق لهم هذا الزي المحترم والمقدس.. ورحم الله المرحوم (فيض) حيث قال لي: لا بأس بهذا... هذا مشروع جيد والأفضل أن ننزع (اللباس) عن الطلبة الكسالى غير اللائقين... وقد أجبته صحيح ما تقوله لكن هؤلاء يريدون فصلهم عنا لتعيين الجيدين ثم القضاء عليهم لا لطرد الكسالى غير اللائقين، وبالفعل هذا هو ما حدث. ونفذوا خططهم باسم الاختبارات والامتحانات، وخرجوا وقد تركونا على هذا الحال المؤلم. ولم تنته المسألة هنا، فما أن مضت فترة وجيزة، إلاّ وأعلنوا عن الزي الموحد للشعب أجمع، ونزعوا العمائم عن المعممين

عنوة ودمّروا الحوزة، هكذا لطّخوا وجه التاريخ بأعمالهم هذه.

هذه كلها أمور سجلها التاريخ وسيسجلها القادمون واللاحقون... لا ننسى كيف استطاعوا منع إقامة المآتم الحسينية؟ ولعله كان من قبيل المصادفة أن تجد مجلساً أو مأتماً كمجالس تلك الأيام علناً في إحدى المدن. حتى الآن أتذكر أحد الأشخاص كان يقيم مجلساً صغيراً يحضره بعض الأشخاص وكانوا يتفرقون قبل طلوع الشمس، وقد رُوقب هذا المجلس ومنع صاحبه من إقامته.

... لقد واجهت الحوزة بجناحيها، الخطباء والعلماء، حملةً شعواء شنت عليهم.

يقول يجب أن تكون في كل إيران ست عمائم لا غير. والحقيقة حتى هذا كان كذباً محضاً ولو كان بإمكانهم ذلك لقمعوا المعممين عن بكرة أبيهم؛ ونستطيع أن نستنتج من خلال هجماتهم هذه على مجالس العزاء والمآتم وعلى المتدينين أنهم أدركوا أن كل هذا هو مصدر الخطر الأوحد الذي يقف في وجوههم ويحطم أهدافهم. وبعد هذا أعلنوا عن السفور الإجباري ونزع الحجاب عن النساء لكي يقضوا على كل متدين وملتزم، والله هو العالم كم من جناية وقعت من جراء هذا القرار...

... لقد أراد أولئك الأشرار أن ينفّذوا خططهم قسراً أو قهراً.. واستطاعوا من خلال دراساتهم ومطالعتهم معرفة جميع الموانع،

فقضوا عليها بجميع الوسائل والطرق، وبخاصة من خلال أقلامهم وصحفهم وكتّابهم وخطاباتهم، وحققوا أهدافهم... ووصلت دعاياتهم البشعة إلى حد أن أصبح الشعراء ومن خلال وسائل الإعلام يتهجمون على الدين ويستهزئون به وبالعلماء علناً، ولا ننسى ذلك الشاعر الذي أنشد قصيدته الغنائية التي تقول: «ما دام رجال الدين في البلد فلننظر إلى أين سيوصلونه»؟! وأخذ يشجع الشعراء وغيرهم على مثل هذا وما أرادوا بذلك شخص المتدينين أنفسهم إنما أرادوا بذلك طمس معالم الإسلام، وإبعاد الناس عنه، فأقاموا لهذا الغرض الحفلات الغنائية والأمسيات الشعرية وغيرها... وأولئك يعلمون جيداً بأن الإسلام ما دام قوياً في بلد ما، فإنه يحول دون تسلطهم. لذا يجب إزالة الإسلام وأحكام الدين ومظاهره، بعدها يصبح من الممكن الوصول للسلطة. ولهذا أخذوا يدرسون دعائم الإسلام وركائزه كي يحاربوه ويقتلعوه من جذوره».

نظرة الإمام إلى المؤسسة العسكرية لرضا خان

قبل تعرض إيران لهجوم البريطانيين والروس عام 1941م، كان الكثير من الشعب ورجالات الدولة بل رضا خان نفسه يرى ويعتقد بقوة وصلابة الجيش، وأن باستطاعته الصمود والتصدي لكل ما يداهم البلد مهما بلغت قوة العدو. بينما كانت الحقيقة غير ذلك

تماماً، فما أن طرق أسماع الجيش خبر هجوم الروس من الشمال، والبريطانيين من الجنوب على البلاد حتى تبدد الجيش بأكمله، وهيمنت عليه حالة الفزع والرعب والقلق خلال ساعات وهذا ما نقله لنا الجنرال (حسين فردوست)[9] ـ الشخص المقرب لولي العهد آنذاك محمد رضا خان. وهذا كله نشأ من جراء جبن وخوف القيادات والشخصيات العسكرية من جهة ومن قسوة الروس والبريطانيين من جهة أخرى ويشير الإمام الخمينيقدس سره إلى مسألة هروب رجال السلطة والقادة قائلاً:

«هل تريدون من جندي عادي أن يجاهد أعداءه ويلقي بنفسه أمام دباباتهم ومدرعاتهم وهو يرى جميع القادة العسكريين من أولهم حتى آخرهم عند هجوم العدو أول الفارين والهاربين. يرى منه ذلك وقد كان هذا القائد يقسو عليه، ويحرمه حتى من مرتبه الشهري الذي لا يتجاوز السبعة ريالات وعشرها، يراه وهو يرتدي زيه المدني في ساحة القتال لينجو بنفسه من الهلاك، فكيف تريدون منه أن يصمد أمام العدو؟».

ثم يتطرق إمامناقدس سره إلى أسباب وعلل هذه الفجائع والهزائم معللاً ذلك بإهمال الدين وعدم الالتزام الخلقي والابتعاد عن الإسلام والعقيدة وبما حل في الجيش من منكر وبغي. فيقول:

«من الذي يدفع بروح الجندي إلى ساحة القتال عند الليل المظلم

والموقع الخطر حيث يرى الموت إلى جنبه ولا يهابه؟ مَن الذي يدعه يندفع بروح قتالية ونافذة، يتأهب للموت في كل حين سوى الإيمان فقط؟ الإيمان بحياة دائمة غير زائلة. ما هو الدافع والحافز لروح التضحية عند ذلك الحارس لثغور البلاد ليلاً ونهاراً، سوى الإيمان بالله تعالى والإيمان بجزاء الله الآخر؟ لو كان الجيش آنذاك يبث في نفوس الجنود التعاليم الدينية، والقيم الروحية، ويستقدم رجال العلم والدين إلى المعسكرات ليعظوا الجنود، ويشحنوا نفوسهم بروح الجهاد، ويحركوا فيهم المشاعر والأحاسيس الوطنية والدينية بدلاً من أن يلقنوهم الأهازيج الجوفاء، والأناشيد المثيرة، ولو أن الإذاعة كذلك كانت تبث القيم، وتنشر الفضائل بدلاً من أن تنشر الرذيلة وتدعو إلى الفساد، لما وصلت البلاد إلى ما وصلت إليه من هذه الصورة الرعناء. ولم يصل مستوى الجيش إلى ما وصل إليه أيضاً من الانحلال والضعف والفساد». ويضيف قائلاً:

«إذا كان المسؤولون يريدون إعداد الجيش وأن يبثوا فيه روح الوطنية وحب الوطن، والدفاع عنه، يجب عليهم أي يسلموه إلى رجال العلم والخطباء والوعاظ الدينيين، وأن يربطوا الجندي بالعالِم الرباني والرجل الديني العقائدي... وطريق الفتوّة والذب عن كرامة الوطن وحبه لا يمر إلاّ عبر الروح الإيمانية والإلهية التي تؤمن بالله وبمدده الغيبي».

رؤية الإمام لنظام رضا خان

يرى الإمام أن رضا خان شخص غير لائق بالسلطة لأنه «**إنسان عسكري خشن، والذي يطمح للسلطة والرئاسة يجب أن يطبق القانون على نفسه أولاً ويرى نفسه كسائر الجماهير، منصاعاً له، كي يحظى بتأييد الشعب ورجالات الحكومة والدولة. السلطان يجب أن يجسِّد البلاد بجسمه، وإن أصابها شيء فإنه يحس به في جسده وبجوارحه فينطلق ليعالجه، وهكذا فهو يحفظ الأمن والاستقرار، وشرف البلاد، وعرضها ومالها. فإن أصبح غارقاً في بحرٍ من الشهوات والنزوات والاختلاسات والسرقات لا يهمه ما يقع في البلاد وعلى العباد، فكيف يسمى هذا الشخص الحيواني بالسلطان أو الرئيس**».

إن قوانين ودستور هذه الحكومات الديكتاتورية هي قوانين تُؤمِّن منافع ومصالح الحاكم ومن يلوذ به، من الجلاوزة المختلسين، ولهذا «**فإن قوانين حكومة رضا خان المدسوسة لا تعادل قرشاً واحداً، ويجب إتلاف وحرق جميع الوثائق والقوانين التي صادق عليها البرلمان وإسقاط جميع صلاحيات الأعضاء. وإذا كان البرلمان اليوم يريد إعادة النظر في أعضائه فيجب عليه إقالة جميع عُمال الأمس الخونة**» لأنهم «**غالباً ما اختيروا ولم يُنتخبوا ولا يهمهم من أمر البلاد شيء سوى الاختلاس وتكديس الأموال في الخارج، وتراهم في أوقات الضيق**

وفي الساعة الحرجة يتركون البلاد ناجين بأنفسهم...».

إذن أين ادعاءاتهم وهتافاتهم بالقومية والوطنية وأين تكالبهم عليها؟ «لقد كانت تلك مجرد شعارات كاذبة خادعة وباسم الوطن والتراث القومي جعلوا من أنفسهم كلمات تدور على ألسُن العامة المغفلة ليتسنى لهم ملء الجيوب ونهب الوطن وثروته، والتجربة أكبر برهان لمن أراد الفحص أو الدليل. كلهم يعلم جيداً أنه يمكن استنزاف الملايين من خلال كرسي حساس واحد وإلاً لما كانوا يُنفقون مئات الآلاف لأجل الحصول عليه..» وبالطبع «إذا استطاع فرد الوغول في تلك الشبكة الديكتاتورية الحاكمة ويعطل من حركتها ومسيرتها، وليعود على البلاد بالخير والصلاح منها فهو عمل مطلوب بل وأحياناً يتوجب عليه شرعاً أداؤه » لكن بحثنا لا يدور حول الاحتمالات والاستثناءات والمفردات بل يدور حول الواقع ومتطلباته؛ ولذا «يجب الانقلاب على هؤلاء المتسلطين الخونة ومن شاكلهم من الكبار والصغار الطامعين المهربين، وإلاً سوف تأتي حكومة وسلطة أقذر من هؤلاء، وعندها ترون أن السابقين كانوا أصلح قوماً وأنسب حكماً!، لقد هرب رضا خان لكن «له جماعات وأيدٍ خبيثة تعمل له سراً، وقد تقنعت بقناع جديد وثياب جديدة وأخذت تفترس الشعب وتنهبه من جديد» وعلى هذا فإن الشعب نفر من جميع رجالات رضا خان وأتباعه وكل من ساهم في عملية دس راية الإسلام والدين الحنيف، «فالجماهير

المحرومة والمظلومة التي قاست أنواع الظلم والجور من رضا خان وعماله، أصبحت غير قادرة على أن ترى شخصاً واحداً من أولئك المجرمين الخونة؛ الذين تلوثت أياديهم بالآثام حيث العبث بمقدرات أبناء هذا الشعب وهتك عرضه وانتهاك حرماته، وكل من يؤيد ويحترم ويقدر تلك الحثالات في يومنا هذا إنما هو إنسان بعيد عن الشرف والعفة والنَصَف. أما الصحف التي روجت لرضا خان وأتباعه بأعماله التي تحمل شعار الحركة الإصلاحية والتي من أبرزها مسألة السفور، يجب أن تحرق بأجمعها في الشوارع والساحات أمام الجميع».

يجب أن لا ننشغل بإصلاح بعض الرموز والشخصيات وبعض المناصب والسمات ونحيلهم إلى المحاكمات، ونغفل عن غيرهم من الرموز السياسية الأجنبية القذرة، بل يجب إصلاح الوضع بأكمله، وعلى رأس الأمور كلها مسألة إصلاح الجو الثقافي ورموزه، حيث انحراف الشباب والأشبال إلى ساحات الفساد الخلقي والذي كان يعد أحد أهداف رضا خان الرئيسية، ثم يستطرد الإمامقدس سره قائلاً:

«من المجالات التي هي بحاجة فاعلة للإصلاح والتطهير، مجال الصحافة والنشر، فالصحف والمجلات والنشرات الدورية التي وصلت إلى حد الفساد والانحطاط، وأصبحت مصدراً له، يجب محوها من الوجود..

هؤلاء باسم التجدد والتمدن جرّوا فتياتنا وفتياننا إلى ساحات

الشهوات والنزوات، وأخذوا يرقصون مع فتيات وطننا، بعد أن أخرجوهم من ربقة الإيمان والحجاب والستر إلى السفور والفساد، وقد غفل رضا خان عند تنفيذ خططه المدمِّرة هذه عن أن يأتي زمان يثور عليه المؤمنون، وينزلون به ضرباتهم المسددة أو عليه ولخططه بإذن الله تعالى، ويهدمون صرح الفساد والطغيان والانحراف.

على العموم يجب على الشعب والجماهير أن لا تعتبر تلك الصحف والمجلات التي غاصت فيها أفكار رضا خان وأهدافه، سوى أوراق مهملة نتيجتها النيران. وضرر تلك الصحف والمجلات التي كانت تبث أفكار رضا خان ورجالاته، هو أكثر بمئات الأضعاف من المجرم أحمدي والظالم مختاري وغيرهم. إذا كان مختاري يعتدي على سجين واحد ويعذبه حتى الموت، فإن هذه الصحف والمجلات هي قاتلة لأمة بأكملها لما تفتقر إليه من عفة وشرف. إن أقلام هذه الصحف وأمثالها، لهي أشد ضرراً على الأمة الإسلامية بمئات المرات من الأبر التي كان يزرقها أحمدي للسجناء المظلومين.

لقد صادروا جميع معتقداتنا وعاداتنا، وأكثر ما يؤلم القلب ويجرحه هو إماتة الحس الديني والهاجس العقيدي للأمة الذي من خلاله يُحفظ الشرف وتُربى الفضائل الأخلاقية».

ومن ثم يظهر الإمام دهشته لعدم تبديل نظام رضا خان بعد أن نفته بريطانيا إلى جزيرة موريس فيقول قدس سره:

«في عهد ذلك الطاغية كانت الأعذار تطرح خوفاً من بطشه وقدرته، ولكن اليوم ما الخبر؟».

الفصل الثالث:

حسرة الإمام على ضياع
فرصة الثورة سنة 1941

إفتقاد القيادة الدينية السياسية

كان غياب القيادة الدينية السياسية من أبرز العوامل التي منعت من تبديل النظام البهلوي، ففكرة فصل الدين عن السياسة بلغت أوجها في أروقة الحوزة العلمية وبين علماء الدين. وفي هذا المجال تعليق للإمام حيث يقول:

«... من خطط المستعمرين التي هُيئت من قبل ونفذها عمالهم بجديّة تامة، هي خطة القضاء على علماء الدين، فأشاعوا فكرة انفصال الدين عن السياسة، وأصبح لدى العامة شيئٌ من السخرية إذا تفوّه العالم بكلمة تخصّ هذا المجال، وسرت هذه الفكرة إلى بعض العلماء أنفسهم. فإذا دار الكلام حول السياسة وما يعاني البلد من أزمات ومشاكل سحبوا أنفسهم فوراً، معلنين عدم علاقتهم بالسياسة. وإذا تطرق أحد العلماء إلى مشكلة يعاني منها الشعب والبلد، أو إلى مسألة قد تمس نظام الحكم شيئاً ما، تراهم يفرون منه فرارهم من الأسد.. ويطلقون عليه... «رجل دينه السياسة». أولئك يرون ويعتقدون بأن مهمة عالم الدين هي ملازمته منزله ومسجده فحسب، وإذا تخلّل

بين الفريضتين محاضرة أو كلمة فيجب أن تكون فقهية أو أخلاقية لا غير، ولا يجوز له التطرق إلى المشاكل الاجتماعية وإلى فساد الوضع القائم، أولئك تربّوا هكذا، وهكذا أثرت فيهم الدعاية والإشاعات الغربية..».

ولقد كان هذا مؤثراً على الزعامة الدينية السياسية وعاملاً من عوامل غيابها عن السياسة بعد رضا خان، إلا أنّ الظروف كانت مُهيئة للثورة، حيث جعلت الإمام (رضوان الله عليه) يجر الحسرات والآهات على خلو الساحة من رجال الدين فراح يقول:

«... مع بالغ الأسف لم يكن هناك شخص يقوم بالمهمة ويُنجي الشعب حتى استلم ابن رضا خان زمام الأمور. فلو كانت هناك حركتان أو ثلاث في بعض المدن لتفجر البركان، وللأسف لم نجد صوتاً معارضاً واحداً وقد ضرب الخوف والهلع أطنابه من جديد وذهبت آمال الشعب أدراج الرياح... فلو كان المدرّس لأحدث شيئاً، لكن خلت الساحة خلواً تاماً...».

وللإشارة إلى علة ذلك التباطؤ وعدم القيام كتب الإمامقدس سره هذا النص ننقله بالكامل:

«﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ إنَّما أعِظكم بواحدةٍ، أن تَقُومُوا لله مثْنَى وفُرادى﴾.

يبين الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الشريفة، الحركة التكاملية،

منذ بدء الخليقة وحتى نهاية المسيرة التكاملية الإنسانية، ويعظنا سبحانه وتعالى بأفضل وأفصح موعظة؛ بعبارة واحدة لا غير، والتي فيها خير وسعادة الدارين، إن الذي نجى إبراهيم من عوالق الدنيا وعالم الطبيعة ونصره على أعدائه، هو إخلاصه لله تعالى وعمله الخالص لوجهه جل وعلا..

إنما استطاع موسى الكليم عليه السلام تحطيم عرش فرعون بعصاه تلك، هو إخلاصه لله تعالى، فبلغ ميقاته وأفنى ملك وكيان فرعون بإذن الله سبحانه وتعالى..

أما نحن.. فالذي أوصلنا لهذا اليوم ولهذه النتيجة، هو عدم إخلاصنا لله سبحانه وتعالى. وحب الذات، وعدم الركون إلى الله تعالى، إن كل هذا الإعراض عن الله هو الذي أوصلنا لهذه المرحلة المظلمة، والتعيسة، فتسلط علينا الأعداء بأجمعهم، وذهبت قوة جميع الدول الإسلامية أدراج الرياح. إن الذي قمع روح الوحدة، والأخوة وقضى عليها هو المصلحة الذاتية، وحب الذات. المصلحة الشخصية هي التي أدّت إلى رضوخ ملايين من الشيعة في إيران لسلطة بضعة أشخاص يُهلكون الحرث والنسل لأجل منافعهم وغرائزهم. تلك هي التي فسحت المجال إلى تسلط جُهال متسولين. يعني رضا خان وأعوانه. على البلاد والأمة، ويسيطرون على أموالهم وأنفسهم واعراضهم.

النفس الأمارة هي التي جرّت مدارس العلم والفضيلة إلى مجالس الفحش والرذيلة، يترأسها ثلّة من المتطفلين الجهلة، وهي التي جرّت مراكز تعليم القرآن إلى المباغي والفساد. الثورات غير الربانية هي التي أدت إلى فرض السفور ونزع الحجاب ومحاربته، وانتهاك الأعراض، وحتى يومنا هذا، فالقانون القديم المدوّن يُعمل به دونما معارضة أو مخالفة.

والمصالح الشخصية هي التي أدت إلى فساد الصحف وقيامها بنشر الدعاية للبضاعة الأجنبية الباعثة على الانحراف والفساد، والتي تسير على نهج ذلك الطاغية رضا خان فتبث دعاياته وتنفذ خططه.

حب النفس والمصالح الشخصية، هي التي فسحت المجال في البرلمان لدخول المهربين والجلاوزة كي يعترضوا على رجال العلم والحوزة بكل صلافة وبلا أي رادع...

أيها العلماء الربانيون، يا علماء الدين الإسلامي! يا مبلغي الشريعة الإلهية! يا أيها المحقّقون الشرفاء! أيها الشرفاء الوطنيون! أيها الوطنيون الكرماء! تمسكوا بموعظة الله سبحانه وتعالى لكم، وامضوا على طريق الصلاح الأوحد الذي افترضه الله عليكم، وتخلوا عن مصالحكم الشخصية والذاتية، فإن في ذلك الفوز بالدارين، والحصول على العزة والشرف في الدنيا والآخرة.

لقد هبت رياح الصلاح اليوم وهو أفضل يوم لبدء الحركة

الإصلاحية. فإذا فسحتم المجال لأعدائنا، وتنازلتم عن الثورة الإلهية، وتركتم السنن الدينية، فسوف تُسلَّط عليكم شرذمة من شرار خلق الله، وسيمحون كل معتقداتكم وأصالتكم.

ما هو عذركم اليوم أمام الله سبحانه وتعالى؟ كلكم مسؤولون عما قام به ذلك التبريزي «كسروي» من نشر العقائد والأفكار السامة الواهية، ومن مداهمة معتقداتكم ودينكم، وشتم الإمام جعفر الصادق عليه السلام والإمام المهدي في قلب العاصمة، وأنتم جالسون ولم تحركوا ساكناً!! ما هي أعذاركم اليوم أمام محكمة الله العادلة؟ ما هذا الضعف والوهن الذي سيطر عليكم؟

الفصل الرابع

الإمام الخميني بين أعوام

1942 و 1964م

توزع نشـاط الإمـامقدس سره السـيـاسـي في الفـتـرة بين أعـوام 1942 و 1964م حين وفاة آية الله العظمى البروجردي إلى محورين:

الأول: مـا قـام به ضـمن إطار الحـوزة العلمـيـة في قم ومن خـلال علاقاته المتينة مع علماء الدين والمراجع الكبار.

والثاني: تحـركه السـيـاسي الملحوظ خارج نطاق الحوزة وبالأخص خلال السنين المتأزمة والملتهبة بين أعوام 1940 و1954 م وما بعدها.

وكان الإمـام قد بدأ نشـاطه السـيـاسـي علناً بعـد نشـر كـتابه القـيّم كشف الأسرار عام 1944م.

إن أول خطوة قام بها الإمامقدس سره على مستوى المحور الأول هي:

نُقل السيد البروجردي إلى قم لاستلامه الزعامة الدينية بعد وفاة المرجع الكبير آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني، وذلك عام 1947م. وقـام الإمام بتـحـرك مكثف ومستمر حتى تمكن من إحراز موافقة وتأييد الجميع تجاه زعامة آية الله البروجردي. وإذا به بدخوله يلمّ شعثَ الحوزة العلمية فتستعيد كيانها وشخصيتها.

ولقد كان الإمامقدس سره في تلك الفترة حريصاً على مراقبة أوضاع الحوزة، والبلاد، والأمور السياسية واقترح حينها تشكيل لجنة خاصة لمراقبة ودراسة أوضاع الساحة ومستجداتها وفي الوقت نفسه لمراقبة الحوزة وما يخصها، ونُفِّذ اقتراحه.

في عام 1953م قام الإمام وبرفقة زميله المفكر آية الله الشيخ مرتضى الحائري[10] بدراسة وإعداد مشروع لجمع عوائد الأوقاف في جميع أرجاء البلاد، والتي تُقدّر بخمسين مليون توماناً سنوياً.

وبعد هذا قدّما المشروع للسيد آية الله البروجردي وأدليا بأنَّ هذه العوائد والمبالغ يجب أن تكون تحت اختيار وتصرف الحوزة لا بيد رجال النظام الحاكم الذين لا يتمتعون بالصلاحيات الشرعية والخلقية، وكانا يأملان أن يوافق على المشروع كي يتسنى لهما بعد ذلك رفعه إلى آية الله الكاشاني، ليطرحه في البرلمان أمام النواب حيث كان السيد الكاشاني رئيساً للمجلس، وكان الإمامقدس سره قد أطلعه على المشروع وأبدى موافقته لكن آية الله البروجردي أعرب عن مخالفته للفكرة. ورغم أنه كان يبدي أحياناً بعض التحفظات على مستوى النشاط السياسي إلا أن الإمام ظلّ يبذل قصارى جهده لدعم مقام آية الله البروجردي على الصعيد القيادي وزعامة الحوزة والجماهير سياسياً ودينياً.

فمثلاً عندما بلغ الإمامقدس سره بأن السيد البروجردي غير مرتاح تجاه

درس الفلسفة، أوصى تلاميذه بعدم إقامة دروس كهذه، ولما رأى الإمامقدس سره عدداً من الطلبة المتحمسين قصدوا السيد البروجردي للاحتجاج، قام بهم خطيباً وأثنى على مرجعية آية الله البروجردي، وقال مخاطباً إياهم:

«إن آية الله البروجردي اليوم علمٌ، وبالعلم نقتدي ونهتدي وبه نحتمي ونحن سائرون على خطاه ونهجه ونظهر مطلق الطاعة لأوامره ونواهيه لأن مرجعية اليوم تمركزت واستقرت بهذا السيد الجليل ويجب أن لا يخدش بها».

في عام 1949م تعرض محمد رضا لعملية اغتيال أثناء زيارته لجامعة طهران ولكنه نجا منها. وكانت هذه الحادثة ذريعة لمحمد رضا لممارسة القمع والإرهاب ولإدخال تعديلات على الدستور تمنحه صلاحيات مطلقة لكنه خشي معارضة آية الله البروجردي المحتملة، وذلك بسبب ما أُشيع في أوساط البلد من احتمال التعرض إلى فقرتين أساسيتين، الفقرة الأولى والتي تنص على تعيين المذهب الرسمي للبلاد، والفقرة الثانية تنص على اختيار خمسة من المجتهدين الواعين الحاذقين لمراقبة قرارات البرلمان لئلا تخرج عن قواعد النظام الإسلامي عند التنفيذ.

ولأجل تجنب ذلك قام بإرسال وزير الداخلية الدكتور اقبال ممثلاً عنه إلى آية الله البروجردي ليُطلعه على التغييرات التي حصلت

وليُطَمئنه على عدم التعرض للفقرتين المذكورتين عندها عين السيد البروجردي الإمامﷺ ممثلاً عنه في الحوارات السياسية مع الدكتور اقبال. ومن المواقف التي تنقل عن الإمام أثناء هذه الحوارات أنه تكلم بحدة قائلاً:

«نحن لا نُجيز لكم مطلقاً العبث في مواد الدستور، وإن مثل هذه التغييرات سوف تفسح المجال أمام الحكومة للعبث بكافة القوانين ومواد الدستور متى ما شاءت وأرادت أو اقتضت مصالحها، وعندما ترى عدم تحقق مصالحها السياسية وأهوائها ورغباتها فإنها تلغي قانوناً وتفرض آخر».

ومن نشاطات الإمام السياسية المهمة في هذه المرحلة جهوده المتواصلة والمكثفة لإلغاء حكم الإعدام عن أربعة أشخاص من حركة فدائيو الإسلام»[11] ومن ضمنهم السيد (نواب صفوي)، حيث اتهموا بعملية اغتيال لبعض رموز الدولة وبعض ممثلي بريطانيا عام 1956م، لكن مساعي الإمامﷺ لم تلقَ أذاناً صاغية.

موقف الإمام من الانتفاضة الوطنية

في حزيران عام 1952م نشب خلاف بين الشاه، والدكتور مصدق ـ الذي ساعده آية الله الكاشاني لارتقاء منصب رئاسة الوزراء ـ حول استلامه منصب وزير الدفاع، وعلى إثره قدم الدكتور مصدق استقالته.

أما الشاه الذي كان يتمنى مثل هذه الفرصة، فأصدر على الفور قراراً بتنصيب رئيس للوزراء (قوام السلطنة) الذي هدد المناوئين بالقوى العسكرية وحذرهم من أي تحرك يصدر، وأمر بانتشار القوات المسلحة والدبابات في شوارع وساحات العاصمة طهران. وهنا قام آية الله الكاشاني وأصدر بياناً يدعو فيه الشعب والجماهير إلى الجهاد والنضال.

فخرج الشعب إلى الشوارع والأزقة والساحات تنفيذاً لأوامر آية الله الكاشاني ودفاعاً عن الدكتور مصدق على الرغم من فرض منع التجول من قبل الحكومة. وواجهت القوات العسكرية حشود الجماهير، وشتّتتها بالرصاص، وأردت المئات منهم قتلى وجرحى. ونتيجة لذلك رضخ الشاه لأوامر آية الله الكاشاني، وعزل «قوام السلطنة»، وأعاد الدكتور مصدق إلى منصبه في 22 تموز 1952 م إضافة إلى منحه مهمة قيادة وزارة الدفاع. وتحقق هذا النصر بثبات الجماهير التي عُبئت على أساس ضرورة تأميم النفط*. لكن الاختلافات في وجهات النظر بين آية الله الكاشاني والدكتور مصدق بالإضافة إلى تشويه حزب توده الشيوعي لصورة علماء الدين والتهكم عليهم وسكوت مصدق على ذلك، أفسح المجال أمام أميركا والشاه الذي كان قد عاد إلى إيران في ربيع عام 1952، ليحيك مؤامرة لقلب هذا الوضع الجديد. وبالفعل نجحوا في ذلك وسقطت حكومة مصدق التي قامت

على أساس تأميم النفط في 19 آب عام 1953.

ولإمامنا الراحلقدس سره خواطر وذكريات مؤلمة عن تلك الأيام، حيث تطرق في إحدى خطبه لهذه المسألة قائلاً:

«لقد واجه المرحوم آية الله الكاشاني حملة شنيعة من قبل الوطنيين، حتى إنهم ربطوا كلباً على باب البرلمان ووضعوا نظارات على عينيه وجعلوا اسمه الكاشاني. وقد حدث هذا فعلاً!!!».

ولقد كانت هذه الانتفاضة بنظر الإمامقدس سره ثورة مادية لكونها حاربت الاستعمار من أجل النفط وأشار الإمام لهذا المعنى مرات عديدة وفصَّل ضمن خطبه خصائص هذه الثورة فقال:

«كانت هتافات الجماهير سابقاً لأجل النفط والمادة، بينما هتافات جماهيرنا في هذه الثورة «الإسلامية» هتافات إسلامية تطالب بالسير على خُطى الإسلام. وثمّة فرق شاسع بين من يجاهد ويناضل لأجل الدين والعقيدة، وبين من يقاتل ويناضل من أجل المادة. إن النهضة السابقة كانت مادية بينما نهضتنا اليوم نهضة إسلامية وإنسانية كنهضة الرسول الأكرم ﷺ.. أما ثورة مصدِّق فقد كانت سياسية بحتة، وثورتنا هي سياسية دينية وذات أصول وجذور عميقة وعريقة..».

«.. الحركات والنهضات والثورات التي شاهدناها على مرّ التاريخ، أو تلك التي رأيناها بأم أعيننا. كالثورة من أجل النفط. اضمحلت وذابت وغابت في عالم النسيان بل تبخّرت بتمامها؛ لأن أهدافها لم تكن

إسلامية بل كانت وطنية ومثلها حركة تأميم النفط التي وضعت أقدامها على طريق النجاح وأخفقت..».

وبهذا الصدد نرى أن انتقاد الإمام﷿ للحركة الوطنية الإسلامية ولقادتها، هو انتقاد بنّاء وأصولي.

وقد قال:

«عندما قامت ثورة الكاشاني ومصدق التي طغى عليها الجانب السياسي دون الديني، بعثت برسالة إلى السيد الكاشاني طالبت منه فيها الاهتمام بالإسلام والتركيز على الطابع الديني. فلم يهتم بها، بل اتخذ مساراً عكسياً وآثر الجانب السياسي، إلى أن أصبح رئيساً للبرلمان؛ فأضحى موضعاً للشبهة، ولقد رجوته أن يكرس نشاطه لصالح الدين لا أن يصبح سياسياً محترفاً..».

وفي معرض إشارته لأهداف حركته التغييرية يقول:

« ... طريقنا ليس طريق النفط، فلا هُوَ ولا تأميمه هدف وغاية لنا إن ذلك عينُ الخطأ وذاته. غايتنا الإسلام وحده لا غير. فعندما يحكم الإسلام سوف يرضخ النفط لأحكامه ويصبح تحت سيطرته. نحن هدفنا الأوحد هو الدين الإسلامي لا النفط الذي إذا أمّمه شخص ما فإنه ينتهي به المطاف إلى العدول عن الإسلام والتنحي عنه..».

الفصل الخامس:

مواجهة الإمام للشاه ولإصلاحاته الأمريكية

كان آية الله البروجردي - الذي يتمتع بزعامة الطائفة الشيعية في إيران والعالم الإسلامي معارضاً ورافضاً للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي يريد تطبيقها الشاه جراء الضغوط الأميركية لذا كان الشاه يفضل التريث في ذلك. لكن المانع والحاجز انتفى من أمامه بعد وفاة آية الله البروجردي في أيار عام 1961م. عندها قرر الشاه البدء بإصلاحاته لكنه لم يكن يحسب حساب ظهور الإمام‌قدس‌سره كمرجع وقائد فعلي للشعب الإيراني بل على العكس عول على فراغ الساحة من القيادة الدينية خصوصاً بعد انتقال اية الله كاشاني أيضاً إلى دار الخلود عام 1962.

أولى الإصلاحات:

إن أول ما شرع به الشاه على مستوى الإصلاحات هي الإصلاحات الزراعية التي كان يقف بوجهها الإقطاعيون وافترض مخالفة الإمام‌قدس‌سره لها فبدأ بها أولاً لكي يثير الشبهات حول الإمام‌قدس‌سره. أما الإمام‌قدس‌سره فهو أكبر من أن يخدع بخططٍ وألاعيب كهذه، فقد كان

بعيد النظر واعياً يرى بأن المسألة أكبر وأبعد من هذا؛ ولهذا اختار السكوت والصبر متحسِّباً ومتأهباً لقرارات وخطوات أخرى.

بعد هذه الخطوة أقدم الشاه على وضع لائحة تعديل مواد الانتخابات في البرلمان والتي تم التصويت عليها بتاريخ 1962/10/8.

بموجب هذه اللائحة، تقرر حذف عدد من الشروط للناخبين والمنتخبين ومن بينها حذف كلمة «الإسلام»، وكذلك باستطاعة المنتخب أن يؤدي القسم بأي كتاب سماوي، هنا قام الإمام الخميني قدس سره بدعوة جميع العلماء والفضلاء الكبار في الحوزة العلمية للاجتماع حتى يتم مناقشة الأمور المهمة، والتأهب لمواجهة المؤامرات المستجدة، وانتهى الاجتماع بالاتفاق على ما يلي:

1 ـ إبلاغ الشاه برقياً بمعارضة ومخالفة الحوزة والعلماء للائحة المذكورة، مطالبين بإلغائها على الفور.

2 ـ إبلاغ جميع رجال العلم والعلماء في كافة المدن بمواقف الحوزة ومعارضتها لتلك الإجراءات حتى يتم إبلاغ الشعب، ومن ثم التأهب للمواجهة المحتملة.

3 ـ اجتماع العلماء وفضلاء الحوزة أسبوعياً ـ مرة واحدة أو أكثر حسب اللزوم ـ للمشاورة والتداول في الأوضاع والأمور الهامة والمتعلقة بمصير الدين والشعب والوطن وذلك لأجل وحدة العمل والهدف.

وأمر الإمام بطبع وتوزيع نص البرقية الموجهة للشاه ونشرها في

الأوساط الاجتماعية.

وبعد مضي ستة أيام وصلت البرقية الجوابية من الشاه إلى الإمامقدس سره واتصل هاتفياً بثلاثة من مراجع الحوزة آنذاك، ملمحاً في جوابه إلى أن ما صدر هو شيء طبيعي وغير مهم وأنه حوّل هذه المهمة إلى الدولة.

لذا تطرق الإمام في برقية جديدة إلى الشاه بأن "أسد الله علم" (رئيس الوزراء) نقض «الدستور» واستهان «بقوانين البرلمان»، وأهمل «نصائح وإرشادات العلماء»، وأضاف: **«لقد ظن "علم" أن القسم واليمين بالكتب السماوية سوف يخرج القرآن الكريم عن إطاره الرسمي.. وأن الشاه سوف يعظّم ويبجِّل كل من يهين القوانين الإسلامية، هادفاً إرضاء الشاه طمعاً بالمصالح الشخصية»** وختم برقيته بقوله:

«آملين بإصدار أوامركم اللازمة كي يتقيد "علم" باحترام قوانين الإسلام والدستور، وأن يقدم اعتذاره عن اعتدائه وجسارته على حرمة القرآن المقدس».

وفي خضم هذه الأجواء أعلن الإمام ولأول مرة في تاريخ إيران خطر مداهمة الصهيونية وتأثيرها على الوضع السياسي والاقتصادي للبلاد، فقال:

«انطلاقاً من المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتقي، أحذر الأمة

الإسلامية والإيرانية من خطر الصهيونية على البلاد. وأعلن بأن القرآن والإسلام مهدد بالخطر!! إن استقلال البلاد واقتصادها متعرض لسيطرة الصهاينة الذين ظهروا في البلاد باسم البهائية. وبالتراجع والسكوت سوف لن تمضي فترة إلاّ ونرى اقتصاد البلاد الذي يملكه الشعب بأيدي هؤلاء، وسوف ينزعون جميع ما يملكه الشعب ويصبح صفر اليدين في جميع المجالات.. إن الأمة الإسلامية سوف لن يهدأ لها بال إلا باجتثاث جذور هذه المخاطر، وإن من يسكت على حقوقه ويصمت ويتراجع عنها فهو مسؤول أمام الله».

وإذا عدنا للائحة تعديل مواد الانتخابات فقد قبل «أسد الله علم» بإلغاء اللائحة وأبرق بذلك إلى ثلاثة من مراجع قم، لكنه لم يعلن ذلك رسمياً.

وهنا أعلن الإمامقدس سره مرة أخرى عن عدم الاكتفاء بهذا وطالب الحكومة بإعلان ذلك رسمياً في الصحف. وفي يوم 1962/11/30 وفدت عليه جماعات وكتل شعبية من طهران، وأثناء خطابه قال مهدداً:

«مع أن مضمون البرقية التي أرسلت إلى السادة العلماء في الحوزة يؤيد شيئاً ما صحة القرار، لكن إن لم تعلن الحكومة عن ذلك رسمياً وعلناً في الصحف الرسمية فسوف لن يكون بمقدورنا التراجع عن قرارنا، وإن أحجمت الحكومة عن طلبنا هذا فإننا سوف نعتبر البرقية

شيئاً لم يكن مذكوراً، وسوف نواجهها بالمعارضة والكفاح».

وأخيراً رضخ "علم" لأوامر الإمام وأعلن في لقائه الصحفي يوم السبت 1962/12/1 عن إلغاء اللائحة ووصفها بأنها غير قابلة للتنفيذ.

وفي معرض تعليقه على خطة الإصلاحات يقول الإمام:

«هل كان العلماء ورجال العلم يوماً ما يخالفون التحضر والتقدم العلمي؟ ففي أي مجال من هذا القبيل قاموا بالمخالفة؟ هل أردتم بناء مدارس ومعاهد وخالفكم العلماء؟ هل أردتم استيراد معمل مفيد وعارضوكم؟ أين معمل صهر الحديد الذي طبّلتم له؟ هل عزمتم على اختراع مركبة فضائية تحلقون بها في الفضاء لدراسة الأجرام السماوية ومنعكم علماء الدين من ذلك؟ نحن نطالب بعدم جرّ النساء إلى ساحات الفساد والفحشاء صيانة لهن من الانحراف. إن العشرين وبضع سنين انقضت من السفور ومنع الحجاب فبماذا عادت علينا وعلى رجالنا وبلادنا؟.. انصرفوا عن هذه الألاعيب ودعونا منها، وارفعوا أيديكم عن القرآن والدين الإلهي، ولا تعتدوا على دستور البلاد باسم الرقي والتحضر والتمدن الكاذب».

ويضيف موضحاً بشأن طلبه من الحكومة التمسك بالدستور قائلاً:

«إن ما نؤكد عليه باسم الدستور هو ليس بالضرورة معبراً عن تأييدنا القاطع له، إنما نؤكد على ذلك من باب (ألزموهم بما ألزموا

أنفسهم به). إذا كان علماء الدين يتكلمون عن الدستور فإنهم يخصون بنده الثاني من الملحق لئلا يخالف شيئاً من القرآن والشريعة وإلاّ «فما لنا والقانون؟» نحن مع القرآن، مع الإسلام، مع السيرة النبوية مع أحاديث أئمتنا عليهم السلام. كل ما يصدر مسايراً ومتماشياً مع الإسلام نحن ننفّذه ونتقبله ونظهر تواضعنا واحترامنا له، وكل ما خالف الدين والقرآن نحن نخالفه ونعارضه، ولو كان قانوناً أو دستوراً للبلاد بل حتى وإن كان اتفاقاً دولياً أو عالمياً.

هذه حقائق يجب أن تطرح، وتحذيرات يجب أن تقال، ولكن يا للأسف أين الآذان الصاغية؟ وإذا كان ذلك فأين العلاج الشافي الذي لا يلتئم الجرح إلاّ به؟».

ولا ينسى الإمام في خطابه هذا أن يشير إلى البعد الأخلاقي في حياة الشعب:

«يجب عليكم أن تهذبوا أخلاقكم وتزكّوا أنفسكم، يجب أن تعتدلوا وتعدلوا، وإن التعرض للوزراء والرؤساء بالسب والشتم ليس حلاً لمشكلة الأمة».

«الثورة البيضاء» وثورة الإمام عليها

في سياق خطة الإصلاحات الأميركية التي تعهد الشاه بتطبيقها قرر بتاريخ 1963/1/9 أي بمناسبة ذكرى ما سمي بالإصلاح الزراعي،

أن يطرح مبادئه الستّة التي أسماها بـ «الثورة البيضاء» للاستفتاء العام.

وما إن اطلع الإمام قدس سره على الأمر، حتى بادر فوراً إلى دعوة العلماء والمراجع إلى الاجتماع في قم، حيث تقرر في الاجتماع مطالبة الشاه توضيح شأن أبعاد خطوته المزعومة وجوانبها، وقد تم بالفعل إرسال (آية الله كمال وند) إلى الشاه ليستجلي حقيقة الأمر منه مباشرة وعند لقائه به قال له الشاه مقسماً: «**لو أطبقت السماء على الأرض أو رفعت هذه إلى تلك لما تخليت عما هو ملقى على عاتقي. ولو فعلت ذلك فلسوف أعزل من مكاني هذا وسيولون عليكم أشراراً من بعدي لا يعتقدون ولا يؤمنون قيد أنملة بكم بل وسيهدمون مساجدكم ويفنونكم ويزيلوكم من الوجود**».

هنا تأكد الإمام أن المؤامرة محاكة من قبل أميركا، وهي إن نُفذت، فإنها ستحقق مصالح أميركا على حساب المصالح الوطنية، لذلك فقد حدّد موقفه الصريح تجاه مخطط الشاه قائلاً:

«**عليكم أيها السادة أن تنتبهوا.. إنّ ما يحاك لبلدنا من مخططات ينبىء عن مستقبل أسود. وهذا يزيد من مسؤولياتنا ويجعلها صعبة للغاية، وإنّ الأحداث التي تجري اليوم تهدد أساس الإسلام وتعرضه للخطر الكبير والدمار الشامل حيث أن المؤامرة محاكة بدقة، ضد الإسلام والشعب المسلم واستقلال إيران.**

ولو أننا تمكنا من أن نبث الوعي في نفوس الناس، ونوقظهم من سباتهم ليقفوا بوجه هذه المؤامرات وباقي مخططات الشاه، ولا ندع مجالاً لممارسة الاستعمار أساليب الخداع، بألاعيبه المريبة، فإننا سنتمكن من هزيمته ودحره، ونحول دون تنفيذ مخطَّطه الخبيث. نحن إذا استطعنا أن نوقظ الأمة من غفلتها ونوجهها إلى وعي مؤامرات الشاه وما يحيكه لها فإننا سوف ننتصر عليه بالتأكيد لا محالة بإذن الله».

وفي جواب للإمام على رأي بعض العلماء الذين رأوا أنه ليس من صالح الأمة أن يواجه الشاه مباشرة بسبب امتلاكه للقوة العسكرية الضخمة قال:

«إننا لا نريد أن نخوض حرباً بالمدفع والدبابة، حتى لا يقول أحد عنا لا يمكنكم فعل شيء تجاه الشاه. بل إن أكبر وأهم عمل نريد أن نقوم به هو توعية الناس وإرشادهم. وآنذاك سيعرف الجميع ما نملكه من قوة عظيمة، لن تزول أبداً، ولا يمكن حتى للمدفع والدبابة أن ينافسها، وفي الوقت ذاته فإن أمامنا طريقاً صعباً وخطيراً، وإن من يعتبر المواجهة من واجباته، عليه أن يدرس جوانب القضية بدقة، ويستعد لعواقب الأمور، ويحدد مدى قدرته على الصمود والاستقامة في مواجهة المصائب والنوائب التي تتمركز في هذا الطريق الشائك».

في 1963/1/22 أصدر، الإمام رضوان الله عليه بياناً حرَّم فيه

المشاركة في «الاستفتاء العام» أو كما سمَّاه الشاه «المصادقة الوطنية» وأطلق سماحته عليه اسم «الاستفتاء الإجباري».

وعلى إثر هذا تعطلت الأسواق في طهران، وخرج الشباب الجامعي بمسيرات معارضة، بيد أنّ الشرطة واجهتهم بالسلاح، فسقط منهم القتلى والجرحى.

وكان الشاه قبل ذلك قد أجرى زيارة لمدينة قم لطمأنة العلماء فيها حتى لا يقفوا معارضين لخطوته هذه، وأصدر حينها الإمام بياناً يوصي به الجماهير والأمة، لزوم المنازل وعدم التجول ودخل الشاه قم يوم 1963/1/14 والمدينة خالية من الناس، مما زاد في عداء الشاه له وفي يوم 1963/1/26 أجري الاستفتاء، علماً بأنّ الجماهير لم تشارك فيه في معظم المدن والولايات، وأعلنت الصحف بأن اللائحة صوت عليها خمسة ملايين وست مئة ألف ناخب وخالفها أربعة آلاف ومئة وخمسون ناخباً.

بعد يومين من الاستفتاء أي يوم 1963/1/28 الذي صادف اليوم الأول من شهر رمضان. دعا فيه الإمام عدداً من كبار علماء الحوزة والمراجع للاجتماع، واقترح بأن تعطّل جميع النشاطات الدينية في هذا الشهر في كل المساجد في إيران، كعدم إقامة صلاة الجماعة، وعلى إثر هذا أصبح الشعب أكثر وعياً لما يحاك له وفيما بعد وزع بياناً طالب الشعب فيه بالحداد العام في أعياد رأس السنة الإيرانية.

مذبحة المدرسة الفيضية وموقف الإمام

قدمت ذكرى وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام والتي صادفت في حينها بتاريخ 1963/2/22، فأقيمت مجالس تأبينية كثيرة في قم ومن جملتها مجلس الإمام الخميني قدس سره في داره، الذي تغلغل فيه بعض الأشخاص المريبين وراحوا يثيرون البلبلة والضوضاء عند خطاب الإمام، للقضاء على هيبة المجلس وعندما لاحظ الإمام هذه الظاهرة أعلن بأن كل من يسعى لخلق البلبلة والفوضى سوف يضطرني إلى أن أنقل هذا المجلس إلى الحرم الشريف، أعلن عن أشياء وأسرار يتلهف الشعب لسماعها، فالويل كل الويل لكم حينها! بعد هذا هدأ المجلس وانتهى بسلام ولكن هؤلاء الأشخاص حضروا ذلك اليوم في مجلس الفيضية، وتمكّنوا من قلب المجلس رأساً على عقب، في حين أن قوات الشاه الخاصة كانت قد طوّقت المدرسة بأكملها وفتحت النيران على الجماهير والطلبة وهتكوا حرمة الحرم.

فسقط العشرات من الطلبة قتلى، وسقط المئات منهم جرحى مضرجين بالدماء. وعندما بلغ الخبر الإمام وما فعله أوغاد الشاه، عزم على الخروج من منزله قاصداً المدرسة الفيضية، وأدلى بخطاب تاريخي في تلك الأجواء المرعبة والموحشة ومما قال:

«.. حذار من القلق والهلع، وتحاشوا الاضطراب واخلعوا رداء

الخوف عن أنفسكم. إنّكم أتباع أئمة وعظماء، تحمّلوا شتّى المصائب والآلام في سبيل الله وعند ذكركم مصائبهم وآلامهم سوف تخفّ عليكم جميع المصائب والصعاب. أئمتنا تحمّلوا مصائب عظمى كمصيبة العاشر من محرم وليلته، رغبة في إقامة دين الله. ترى مم تخافون؟ ومن أي شيء تقلقون؟ إنه عار على أي مسلم يدعي التفاني والولاء لأهل البيت والأئمة أن يتنازل عن مطالبه ويتقهقر أمام حوادث وصعاب، كهذه التي صدرت عن السلطة. إنها بعملها هذا قد أثبتت ضعفها وخوفها، وأعلنت عن ماهيتها المغولية الوحشية والهمجية. إنّ النظام قرب زمن سقوطه ولفّ حبل المشنقة حول عنقه بيده عندما اقترف هذه الجناية. إذن.. نحن منتصرون، إن شاء الله! انتصرنا لأن الله كشف عن هوية النظام وعن حقيقته. إنّ عظماءنا تحمّلوا السجون، وتعرّضوا لمختلف أنواع التعذيب، وقدّموا أنفسهم قرابين في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ودينه الحنيف، ولهذا سلم الإسلام وبقي إلى يومنا هذا. اليوم وقع العبء علينا، وإنّ واجبنا المقدس أن نتحمّل المصائب والصعاب لقطع أيدي الخائنين ودحض الكافرين الطامعين..»

ودعا الإمام العلماء إلى عدم التظاهر بالتقية وأكد ذلك في برقية كان قد أرسلها إلى علماء طهران قال فيها:

«.. إن هجوم القوات الخاصة للشاه الذي تسانده الشرطة لم يكن

سوى تجديد الذكريات عن أعمال المغول الوحشية، مع فرق واحد هو أنّ أولئك هاجموا بلاداً أجنبية وهؤلاء هاجموا أبناء وطنهم ودينهم من الطلبة ورجال العلم... هؤلاء باسم الشاه سحقوا مقدساتنا وأهانوها، وتعدّوا على مقدسات الإسلام، وتجاوزوا حقوق المسلمين واعتدوا كذلك على معاهد العلم والتربية، إنّهم وجّهوا بهجومهم هذا ضربة تكاد تكون قاضية على القرآن والإسلام.. إن التقية لا مكان لها اليوم وإظهار الحقائق أمر واجب اليوم مهما كانت النتائج».

وفي تلك الأجواء قام الإمام بتهديد نظام الشاه قائلاً:

«لقد هيأت نفسي وجسدي وصدري لاستقبال رماحكم وسهامكم، وسوف لن أرضخ لكم أو أتنازل أو أتقهقر أمام جبروتكم واضطهادكم، بإذن الله تعالى.

سوف لن أسكت عن أي عمل مخالف للإسلام ولمصلحة البلاد يصدر عنكم. وما دام القلم بيدي فسوف أسطّر الفتاوى والبيانات والمنشورات لمحاربتكم أبد الدهر».

بعد انقضاء فترة على هذه الحادثة عزم الشاه على فرض الخدمة العسكرية الإلزامية على طلبة الحوزة والمعاهد الدينية، وذلك لتفريق جمعهم ولإذلالهم واحتقارهم وإهانتهم. وهنا أصدر الإمام بياناً تعليقاً على ذلك قائلاً للطلبة:

«لا تقلقوا! لا تتزلزلوا! استفيدوا من التدريب العسكري بكل ما

أوتيتم من قوة وجدية فلنكن كما النبي موسى الذي تربى في حضن فرعون وعندما كبر اقتلع أصول الظلم والفساد».

وبحلول ذكرى الأربعين على أحداث الفيضية، صدّر الإمام بياناً موجهاً للشعب ومما جاء فيه قوله:

«لقد عزمت على النضال والجهاد وسوف لن أتقهقر أبداً إلى أن أرى بعينيَّ هاتين انهيار النظام الشاهنشاهي أو أفد على رب غفور رحيم حاملاً عذري معي. يا علماء الإسلام ويا مراجع المسلمين توكلوا على الله فإنَّ النصر حليفنا» ومع اقتراب شهر محرم وجه جهاز السافاك دعوة لحضور جميع الخطباء والوعّاظ، وحذّرهم من التطرق إلى ثلاثة مواضيع فقط وأما ما سواها فلهم الحرية التامة، وتلك هي:

1 ـ عدم المساس بشخصية الرجل الأول للبلاد (الشاه).

2 ـ عدم التطرق إلى إسرائيل نهائياً.

3 ـ الكفّ عن الكلمات والعبارات الحماسية المحرّضة للشعب كذكر الإسلام والخطر الذي يواجهه!!

وبعد هذا مباشرة وجه الإمامقدس سره بياناً إلى الخطباء والوعاظ والهيئات الحسينية، وصف كل من يلتزم بتلك المطالب بالإنسان المجرم الذي يستحق الجزاء والتأنيب وأكد على موقفه الصارم. من الكيان الإسرائيلي وعملائه البهائيين قائلاً:

«إنَّ النظام الحاكم يبذل قصارى جهوده لمساندة ومساعدة إسرائيل

وعملائها. الفرقة الضالة والمُضِلّة. لقد فتحت أبواب البلاط أمامهم وفُسِحَ المجال لهم، ولقد تمركزوا في جميع المراكز والنقاط المهمة، وشغلوا الوزارات، والمعسكرات، والمجالات الثقافية» وأضاف:

إنّ «السكوت في هذه الأيام هو تأييد ودعم للسلطة وللجبابرة ولكل أعداء الإسلام».

خطاب الإمام العاشورائي وانتفاضة 15 خرداد

قدم اليوم العاشر من محرم الذي كان قد عقد الإمام لأجله اجتماعاً مع كافة العلماء والمراجع في الحوزة العلمية، أتّفق به على فضح جرائم ودسائس الشاه والحكومة وذلك أثناء خطبهم ولكن مع شديد الأسف انسحب أغلبهم فيما بعد، وبينما الإمام في طريقه إلى المدرسة الفيضية ليلقي خطابه العاشورائي فإذا بأحد الأجانب يسير بجانبه ويهمس بأذنه قائلاً: «إنني مبعوث من قبل صاحب الجلالة لأحذرك من عملك وإياك أن تلقي الخطاب وإذا كنت مصراً على ذلك فسوف تعترضك القوات الخاصة وعندها سترى ما لا يحمد عقباه!» فأجابه الإمام: «وعندها أيضاً سوف يؤدب الطلبة ممثلي الشاه!!!».

وفي تمام الرابعة عصر يوم عاشوراء 1963 اعتلى الإمام المنبر وألقى خطابه التاريخي أمام حشود كبيرة من رجال العلم والجماهير وهاجم الإمام النظام الحاكم وفضح مؤامراته وخططه وتآمره مع

أسياده على الوطن قائلاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم: نعيش الآن أجواء العاشر من محرم.. ويتبادر للذهن أحياناً عدد من التساؤلات والتصورات حول واقعة الطف؟ فمثلاً يخطر سؤالاً بالبال ويطرح نفسه..لو كان الخلاف والعداء منحصراً بين بني أمية وحكومة يزيد بن معاوية وبين الحسين عليه السلام، إذاً ما بال النساء والأطفال اللواتي سبين من قِبَلِ أولئك الوحوش الكواسر؟ ما ذنب النساء والأطفال؟ ما ذنب الطفل الرضيع؟ أعتقد أنّ أولئك كانوا يقصدون هدفاً أكبر وأبعد، وذلك هو خلافهم، مع أساس الفكرة (قيام حكومة إلهية) لا مع الحسين وعياله وأطفاله كأناس. إنّ بني أمية كانوا يريدون محو العترة، كانوا حاقدين على بني هاشم، هدفهم هو القضاء على هذه الشجرة الطيبة.

ويعود هذا السؤال يطرح نفسه اليوم مرة أخرى: ما الذي يريده النظام الحاكم المتغطرس من العلماء والمراجع؟ لماذا يهاجمون علماء الإسلام؟ لماذا يُمزِّقون ويحرقون القرآن في المدرسة الفيضية (يقصد الإمام هنا تمزيق القرآن من قبل جلاوزة الشاه في مجزرة المدرسة الفيضية).

من هنا نفهم أنّ عداء هؤلاء ما هو إلا عداء للإسلام وللعلماء.. إن إسرائيل لا تريد أن ترتفع راية القرآن في بلدنا. إنّ إسرائيل لا تريد علماء في هذا البلد. إسرائيل لا تريد الإسلام في هذا البلد.

إنّ إسرائيل هاجمت المدرسة الفيضية عبر عملائها الخونة، هاجمتنا نحن وتهاجمكم أنتم أيها الشعب الأبي، كل ذلك من أجل سيطرتها على ثرواتنا. إنّ إسرائيل تريد إزالة جميع الحواجز التي تقف في طريقها والحواجز هي: الإسلام والقرآن، ورجال العلم والمراكز العلمية والمدارس الفقهية والطلبة المجدّون. وجزاء الطلبة هو قذفهم من أعلى الأبنية إلى الأرض، لقتلهم وتكسير أيديهم وأرجلهم. لماذا؟ لأنّ إسرائيل تريد الوصول إلى أهدافها، بمساعدة ومساندة حكومتنا الخائنة.

يا أهالي مدينة قم الصامدة، لقد شهدتم بأمّ أعينكم يوم الاستفتاء القهري، ورأيتم تلك اللعبة المفضوحة، رأيتم كيف جرى الاستفتاء بحد السيف وبالقوة، لقد شاهدتم كيف انتشرت القوات المسلحة في شوارع المدينة وأزقتها ودنّستها بآثامهم، لقد رأيتم وسمعتم كيف استلّوا سيارات الإعلام، وراحوا يطلقون العبارات التافهة علينا. لقد صاحوا بأنّ حياة النهب قد انقضت وحياة الراحة والبطر قد انطوت وحياة العلماء ورجال العلم وأهل الدين انتهت.

بالله عليكم هل إنّ طلاباً يقضون زهرة شبابهم بحُجَرٍ وغُرفٍ كهذه ولا يتقاضون سوى 40 توماناً في الشهر هم أهل البطر وأهل راحة ونعيم؟ بينما أولئك الذين تتدفق عليهم المبالغ الطائلة والملايين تباعاً هم ليسوا بأهل بطر ونعيم وأهل نهب وسرقات واختلاس. هل آية الله

الحائري كان منعماً حيث انتقل إلى الدار الآخرة وفي ليلته تلك ينام أطفاله جياعاً؟ أم هل إنَ السيد البروجردي كان منعماً ومتبطراً حيث ترك الحياة الدنيا وعليه قروض قدرها ستمئة ألف تومان من أجل تسديد معاش الطلبة؟ إنَ أولئك الذين نهبوا وينهبون أموال الشعب والوطن وملؤوا بنوك أوروبا، ويسعون إلى النهب والاختلاس والسرقة كل يوم ليؤمنوا مصالح إسرائيل، هم ليسوا بأهل نعيم وبطر؟

يجب أن يحكَم التاريخ. أن تحكم الشعوب!!.. من المتبطر والمتنعم؟ إنني أنصحك أيها الشاه! يا حضرة الشاه! إنني أنصحك أن تبتعد عن هذه الحيل والألاعيب... إنني لا أريدك أن تصبح مثل أبيك.

أيها الشعب إنكم على علم كامل بما يجري أنتم أيها الشيوخ، أنتم أهل الأربعين بل وحتى الثلاثين.. إن ذاكرتكم لن تخونكم! تذكروا ما جرى في الحرب العالمية الثانية أظنكم لم تنسوا البهجة الكبرى والفرحة العظمى حينما هاجمت ثلاث دول عظمى بلادنا . أي بريطانيا وأمريكا وروسيا . وسيطروا على البلاد وعاثوا فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل. لكن مع هذا كله تعاظمت الفرحة عندما أقيل رضا خان من السلطة وفرَ هارباً!! إنني لا أريدك أن تصبح هكذا، تصبح كأبيك. استمع إلى هذه النصيحة. واصغ لما يقوله أهل العلم والعلماء، امتثل لأوامر الإسلام.

هؤلاء يريدون صلاح الملَة. صلاح الوطن. أعرض عن إسرائيل

صفحاً فإنها لن تنفعك يوماً بل ساعة. أيها التعيس! أيها الذليل! لقد انقضى من عمرك خمسة وأربعون سنة، تأمّل قليلاً، تدبر قليلاً، لاحظ عواقب الأمور، اعتبر بكل ما مضى. اعتبر بأبيك. لا تصغِ إلى ما يلقنونك إيّاه من أكاذيب ودجل، إنّك مسلم وحالك حال الجميع، إنّك لست عدو الدين والعلماء، لا تتأثّر بما يشيرون به إليك. لم كل هذا الهراء؟ من هي الرجعية السوداء؟ الإسلام والعلماء! أم أنت يا صاحب الثورة البيضاء؟ ما هي هذه الثورة، عرفًنا جذورها، اكشف النقاب عن أساسها؟ إلى متى تطمع بالسلطة؟ وإلى متى تريد تضليل الشعب؟ لِمَ تهدد الشعب والجماهير؟..

لقد بلغني اليوم أنك أرسلت المخابرات إلى عدد من السادة الخطباء والوعّاظ والمرشدين فحذّروهم وهددوهم من التعرض لمواضيع ثلاثة. أولاً عدم المساس بالشاه، ثانياً عدم التعرض لإسرائيل، ثالثاً عدم الإكثار والتكرار من القول أن الإسلام في خطر، وما دون هذا فسطّروا ما شئتم. إنّ جميع مشاكلنا واختلافاتنا هي منصبّة في هذه المواضيع الثلاثة. فإذا ما عدلنا عن هذه المواضيع، فلا مشكلة إذن هناك ولا خلاف. وهل إذا أعرضنا عن تعرية الشاه فهل الشاه سوف يكون مبرأ مما ادعينا؟ وهل إذا أعرضنا عن القول بأن الإسلام في خطر، فهل الحقيقة والواقع هكذا؟ وهل إذا صمتنا عن إسرائيل وخطرها، فهل هذا يبرىء إسرائيل مما هي عليه؟ ولنتأمل قليلاً هنا، ما هو السر

الذي جعل المخابرات تدعو في آن واحد إلى عدم التعرّض للشاه ولإسرائيل؟ هل في عقيدة المخابرات أنّ الشاه شخص إسرائيلي أم تربطه علاقات متينة بإسرائيل؟

هناك نقطة مهمة كبيرة وحسّاسة للغاية وأكبر مما يُتصور، هناك أسرار وراء الستار، البلاد في خطر، الإسلام في خطر. إنّنا قلقون خائفون مما يبنونه ويشيدونه من صرحٍ أو كيان مجهول لا نعرف سوى ومضات منه. إنّنا في قلق وهلع شديد تجاه ما يداهم البلاد، بلادنا الخربة، بلادنا الفاسدة، إدارة وحكومة، نرجو من العلي القدير أن يصلح أمورنا وأمور المسلمين...».

وفي منتصف ليلة الرابع من حزيران وبعيداً عن أعين الناس وبهدوء كامل هاجمت القوات الخاصة المتسترة بالزي العادي منزل الإمام وأُلقي القبض عليه. وانطلقوا به إلى طهران مباشرة. كان القلق يبدو جلياً على وجوه أولئك الخاطفين خوفاً من ملاحقة الجماهير لهم فيما إذا علموا بالأمر لهذا لم يستجيبوا لطلب الإمام حينما كرر الطلب منهم أن ينزل لبضع دقائق ويؤدي صلاة الصبح إلى جانب الطريق مما اضطره إلى التيمم والصلاة في السيارة وهي تخطف الطريق كالبرق نحو زنزانات النظام حيث لبث في السجن 45 يوماً.

في صبيحة اليوم الخامس من حزيران طرق الخبر أبواب العاصمة طهران. واندلعت مسيرات الطلبة من الجامعة رافعة شعارات المعارضة

ضد الشاه ولحقهم فئات وهيئات حسينية كبيرة منادية: «إمّا الموت وإما الإمام» و «الموت للشاه» وتوسعت المسيرة وتعاظمت وأحدثت ضجة كبيرة في البلاد مما أدى إلى تدخل القوات المسلحة بالعنف والسلاح. فسقط المئات من الناس قتلى، وامتلأت الشوارع والميادين بالجرحى مضرّجين بالدماء، وأُلقِيَ القبض على عدد كبير منهم. وبمجرد وصول خبر اعتقال الإمام لأهالي منطقة «ورامين»[12] انطلقت الجماهير نحو العاصمة مرتدية أكفانها ولكن سرعان ما قامت القوات المجرمة باعتراضهم وسقتهم كؤوس حتوفهم فأبادتهم عن بكرة أبيهم. وتسرّبت المظاهرات والمعارضات إلى مدينتي مشهد وشيراز، لكن القوات الحكومية تمكنت من السيطرة عليهم، وخلال هذه الأيام الثلاثة الملتهبة والمتأججة تمكّنت المخابرات من إلقاء القبض على جميع الخطباء والوعاظ والمرشدين، وكثير من رجال العلم والعلماء المجاهدين في العاصمة. أما في تبريز وبناء على توصية السيد شريعتمداري «بعدم التظاهرات والمعارضة» وعدم المساس «بجلالة صاحب الجلالة الشاه» فلم تخرج سوى بضع مظاهرات بسيطة وغير فاعلة.

واستثمر الإمام أيام سجنه هذه بمطالعة الكتب المختلفة؛ كالتي تدور حول «استقلال الهند» واستقلال أندونيسيا» و «الثورة الدستورية».

في 2 آب نقل من السجن بعد أن أمضى فيه 45 يوماً إلى منزل

أُعِدَّ له في منطقة «الداوودية» بطهران. ووضع تحت الإقامة الجبرية ولم يكن الإمامقدس سره منذ لحظة اعتقاله وحتى ساعة حلوله بهذا المنزل على علم بما جرى من حوادث ووقائع يوم الخامس من حزيران وعندما أطلعه بعض المقربين منه، إذا به يتمتم مع نفسه قائلاً:

«إن مسؤوليتي كبرت وتعاظمت.. إنني لم أقدم شيئاً للأمة مطلقاً..».

وعندما وقفت الجماهير أمام المنزل ودموعها تنهال لم يتمالك الإمام نفسه فصاح معتذراً:

«كيف أستطيع أن أقابل هذه المشاعر والأحاسيس من الأمة؟».

وانحدرت دموعه على وجنتيه بغزارة.. وكانت هذه أول مرة وآخر مرة يرى فيها الإمام باكياً باستثناء مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام!!

في ليلة 7 نيسان 1964 أدخل الإمام مدينة قم دون إعلام مسبق وأُطلق سراحه.

وألقى الإمام خطاباً مهماً في يوم 10 نيسان أثناء اجتماعه بالطلبة الجامعيين الذين قدموا من العاصمة لزيارته ومقابلته، حيث كان هذا أول خطاب يلقيه الإمام بعد خروجه من السجن. وفيما قال فيه بعد إرشاد الطلبة، وتقديم النصائح لهم:

«لو لم تكن مرارة السجون وعذابها لما كانت هناك لذةٌ للنصر. حقاً

كان الهدف أكبر من السجن وإطلاق السراح.. هدفنا هو الإسلام، استقلال البلاد، نفي عملاء إسرائيل، الاتحاد مع كافة البلاد الإسلامية».

ونبه إلى خطر إسرائيل وعملائها في البلاد قائلاً:

«إن اقتصاد البلاد الآن بيد إسرائيل، وعملاء إسرائيل[13] تسلطوا اليوم على معظم المراكز الاقتصادية، اقتصاد البلاد الآن في قبضتهم واختيارهم.. إن بلدنا لا يمكن أن تديره إسرائيل».

وأشار أيضاً إلى الإشاعات التي صدرت من قبل الحكومة حول مفاوضاته واتفاقه معها قائلاً:

«... لقد نشرت صحيفة إطلاعات المنحطة مقالاً تحت عنوان. الاتحاد المقدس. يتهم المرجعية بأنها توصلت إلى وفاق واتفاق مع ثورة الشاه والشعب!! فأي ثورة هذه!؟ وأي شعب هذا!؟! إن هذه الثورة ليست لها أية علاقة مع المرجعية والشعب. أيها الطلبة الأعزاء! بلّغوا كل من لم يصل له صدانا بأن المرجعية معارضة ومخالفة لهذه الثورة.

نحن نمرُّ بفترة اختناق، وليست لدينا أي أداة إعلامية.. ولهذا يضلّل بعض الناس المنقطعين عنا بهذه المؤامرات ويخدعون بالأكاذيب والإدعاءات. أين المرجعية من هذه المفاسد؟ هنالك بون شاسع..».

ومن ثم تطرق إلى موقفه السياسي وقال:

«إن الخميني سوف لن يجلس على مائدة التفاوض حتى وإن عُرض

لحبل المشنقة.. إنني لست من أولئك المعممين ورجال الدين الذين لا يعرفون من الإسلام سوى الجلوس والتسبيح والتهليل. إنني لست كالبابا كي أخرج في الأسبوع يوماً لأداء الطقوس الدينية وأركن باقي الأيام إلى أموري الخاصة وزعامتي العامة.

يجب علينا أن نخلِّص هذه الدولة والأمة من هذه المصائب..».

ثم يتعرض لحياة الضعفاء والفقراء قائلاً:

«... عندما كنت في السجن بلغني أن درجة الحرارة في همدان هبطت إلى 33 درجة تحت الصفر، وعقبه نبأ ثان يقول بأن المتضررين من الكتلة الهوائية الباردة هذه بلغ 2000 مواطن. وحينها لم أستطع أن أفعل شيئاً، وما الذي كان بوسعي أن أعمله؟ ويداي مربوطتان، وتأملوا هنيهة، فهذا وضع همدان!! فكيف حال القرى والمناطق البعيدة والمنقطعة عنا؟ فما الذي قدمته الحكومة؟ في ظروف كهذه وحيال مثل هذه المصائب، بينما يقوم رجال البلاط بطلب أنواع الزهور من هولندا وتنقل بالطائرات الخاصة للبلاد لتقدم لأسيادهم في المراسم والاحتفالات. وهكذا تبذر أموال الشعب المحروم، حيث أن كلفة رحلة واحدة من هولندا إلى إيران تعادل 300,000 ألف تومان!!».

وعرض على الطلبة الجامعيين فكرة فصل الدين عن السياسة فقال:

«بالله إن هذا ليس بإسلام، الإسلام كله سياسة. لقد حرّفوا مفهوم

الإسلام الحقيقي. السياسة المدنية أساسها من الإسلام... إن الإسلام يهتم بالإنسان منذ ولادته وحتى يوم دفنه، وسنَ لكل مرحلة ولكل يوم من حياته دستوراً وسطر له تعاليم عظيمة».

وفي ختام خطابه عرج على واقعة الخامس من حزيران قائلاً:

«.. ملحمة يوم الخامس من حزيران كانت أبشع وأقسى مما يفعله العسكر والجيش بأمةٍ معادية لنا... إن أمتنا ما دامت على قيد الحياة فهي معزاة بهذه الفاجعة. لقد سمعت أحدهم يقول: إن حدث الخامس من حزيران وصمة عار للأمة والشعب الإيراني، لكنني أرى هذا الكلام ناقصاً فأكمله وأقول: نعم، إنه وصمة عار للشعب لأن الرصاص الذي رشقهم كان من أموال الشعب، وبسلاحه هو بالذات تعرض للقتل والدمار».

وبعد أيام من هذا الخطاب وبالتحديد في 15 نيسان شهد المسجد الجامع في مدينة قم حشوداً كبيرة من مختلف القطاعات أتت لاستماع خطاب الإمام ومما جاء في خطابه هذا:

«يتهموننا بالتخلف، وبالرجعية و.... الصحف الأجنبية تصفنا بأننا ضد الإصلاحات. إنهم يدعون بأننا لا نريد الكهرباء، لا نريد الطائرات.. إننا نريد الرجوع للقرون الوسطى! أن علماء الدين يعارضون هذه الإصلاحات لأنها تدحض التخلف والرجعية..

كلا، إننا نخالف الوحشية، نخالف القتل، نخالف الديكتاتورية، هل

هذا هو رجعية وتخلف؟ إننا نصرخ قائلين؛ لا وألف لا للعمالة، إننا ندعو إلى التحرر والاستقلال، نقول: لا تمدوا أيديكم إلى بضع دولارات وتبيعوا كرامتكم.. نحن نريد تطبيق القانون.. إنكم أنتم الذين عرَضتم الجماهير للقمع والقتل والنفي، أنتم الذين ملأتم زنزاناتكم وسجونكم بالأبرياء.. أأنتم متحضرون؟ أأنتم غير رجعيين وغير متخلفين؟.. نحن لسنا معارضين للتحضر والتمدن، إسلامنا لا يخالف التحضر.. هذه طروحات قيِّمة وذات أهمية لدى علماء الإسلام... لكن الرجعية هي الإنصياع للغير، ووضع المخازن والمصانع بيد الأجانب، التخلف هو العمالة للأجانب، الرجعية هي حكم الشعب بالقوة والسلاح.. أأنتم المتحضرون!؟ وأنتم لا تعرفون من القانون شيئاً، لا تعرفون من الدين شيئاً إنكم لا تريدون من الشعب سوى إذلاله ونهبه!! عجباً لكم أهذا هو الرُقيّ؟».

ثم تطرق بخطابه هذا إلى اجتياح الاستعمار الثقافي للبلد وأبدى رأيه ووجهة نظره بعزم ثابت وجزم كامل فقال:

«إنكم . مسؤولو البلاد . تدعون التحضر والرُقيّ لكن ما أن يدخل البلد هذا الرقي حتى نرى الحرام ينقلب إلى حلال والحلال إلى حرام! هل هذا تحضر وتمدن حينما تقوم الإذاعة ببث برامج مسمومة كهذه!! هل هذا تحضر حينما أصبحت الصحف والمجلات تنشر تلك الصور المبتذلة!! .. ألم تكن هذه أفكار استعمارية لإفساد الشباب وحرفهم عن

الصواب؟ لا شك إن الأمور كلها خطط استعمارية بحتة لا تريد وجود شباب متميز وأيدٍ عاملة نظيفة ومفكرة في البلاد. الاستعمار هو الذي يرتب برامج الإذاعة والتلفزة حسب أهدافه الخاصة فيعمد إلى فتح طرق شريرة لإرهاق وإضعاف أعصاب المستمعين والمشاهدين، ولإيهان قواهم وتشويش أذهانهم وأفكارهم.

نحن نخالف هذا التحضر.. نحن نؤكد على سلامة الجامعات، وعدم التعرض للشباب وإلقائهم في بؤر الشبهات والانحرافات والفساد. نحن نريد من جامعاتنا أن تصنع وتنتج عقولاً مفكرة مخلصة للأمة والوطن. تخرّج شباباً يسيِّرون البلاد بإخلاص وأمانة ويقفون في وجه أي خطر أجنبي أو نوع من أنواع الاستعمار.

وأما ما أشيع عن المرجعية بأنها تخالف وتعارض «حرية المرأة» من قبل وكالات الإعلام الشرقية والغربية، فهو مردود عليها ونحن نقول:

لسنا مخالفين لتحضّر وتمدن المرأة؛ نحن نخالف الفحشاء والمنكر، نخالف هذه المشاريع والبرامج المبتذلة، ومن ثم متى كان الرجال أحراراً وطلقاء حتى أصبحت النساء مقيدات ويطالبن بالحرية؟ وهل الحرية هي تحريك لسان فقط؟...»

ثم تعرض لإسرائيل مرة أخرى وقال:

«إنكم تستقبلون بعثات من الخبراء والمتخصصين الإسرائيليين وترسلون بطلابنا إلى إسرائيل.. إننا نعارض ونخالف كل هذا.. أيها

العالم: إن أمتنا معارضة لأي اتفاق يحصل بين حكومتنا وإسرائيل. أمتنا، علماؤنا، مراجعنا، وكافة المسلمين يعارضون أي تقارب واتفاق مع إسرائيل..».

لقد اقترح الإمام على العلماء، اقتراحاً يقضي باجتماع علماء الدين والحوزة ولو لمرة واحدة في الأسبوع لدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد. لكن هذه الفكرة تعرضت للانهيار بعد فترة وجيزة بسبب معارضة بعض العلماء ورجال الدين، وكذلك نتيجة لضغوط المخابرات، وخشية وخوف بعضهم الآخر.

وبعد فترة من الزمن أصدر الإمام بياناً شديد اللهجة عندما عزمت المحكمة العسكرية على تنفيذ حكمها على كبار قادة «حركة التحرير» (المرحوم آية الله الطالقاني والمهندس مهدي بازركان).

وهاجم إسرائيل ثانية وكشف القناع عن الروابط بين إيران وإسرائيل فقال:

«إنني أضع جميع المسلمين ودول العالم الإسلامي على علم، بأن الشيعة لا تعرف أي تقارب وتعاون مع إسرائيل الممقوتة البغيضة، وإنها كذلك مشمئزة من جميع الدول التي تساند إسرائيل وتدعمها. هذه الروابط والعلائق بين إيران وإسرائيل ليست علائق بين الشعب وإسرائيل. وإن الشعب والأمة براء من كل ذلك. إنما هي فقط بينها وبين حكوماتنا المزيّفة التي لا تحظى بأي تأييد جماهيري..».

الإمام وموقفه من الحصانة للأمريكيين

بعد أن صادق البرلمان على لائحة الحصانة للأميريكيين في أيلول 1964م، عزم الإمام على تفنيد كافة المؤامرات التي تحاك سراً مع النظام الحاكم ضد الإسلام وضد استقلال البلاد. ووعد الجماهير المسلمة بخطاب مهم يلقيه في يوم ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان النظام يهيىء الأوضاع للاحتفال بذكرى ميلاد الشاه[14].

وسرعان ما بعث الشاه أحد رجاله إلى قم ليلتقي الإمامقدس سره، لكن الإمام رفض استقباله ولم يرَ بُداً من إبلاغ رسالة الشاه الشفوية إلى نجل الإمام الشهيد السيد مصطفى. وأكد على لسان الشاه ـ محذراً الإمامقدس سره من التهجم على أميركا ووصف ذلك بأنه عمل خطير وله عواقب سيئة، وأنه أخطر من التحامل على رجل البلاد الأول (الشاه). في اليوم المقرر ألقى الإمام خطابه ونظراً لأهميته إرتأينا نقله بالكامل هنا لنطلع القارىء الكريم على جميع النقاط المهمة التي ركز عليها الإمام كثيراً:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

«إنني لعاجز عن إبداء جميع مشاعري القلبية. إن قلبي تعتريه حالة من الضغط والغليان. منذ أن اطلعت على الدسائس والمؤامرات

الأخيرة وعلى ما يداهم البلاد، لقد تبدلت حياتي بأسرها، إن نومي لقليل، وقلبي عليل، أصبحت كئيباً حزيناً، إنني أنتظر الموت ساعة بعد اخرى (هنا أجهش الحضور بالبكاء).

إيران، منذ اليوم في عزاء ولا عيد لها بعد اليوم. لقد أصبحت أعياد إيران مآتماً، باعوا شعبنا واستقلال بلادنا، أفبهذا أعيادهم وبهذا ابتهاجهم وسرورهم (حاشية الشاه)؟

ولو ثنيت لي الوسادة اليوم لرفعت السواد على أبواب الأسواق والشوارع ولأعلنت الحداد ولأمرت بالعزاء العام!!

شرف بلادنا سُرق، عزة بلادنا سُلبت (بكاء الحضور)، كرامتنا هدرت عظمة جيوشنا ومعسكراتنا تلاشت واضمحلت!

البرلمان يستلم لائحة تنص على ما يلي: أولاً. إلحاقنا بمعاهدة «فيينا» وثانياً. فسح الحرية المطلقة لارتكاب الجرائم والفساد من قبل الخبراء والمتخصصين الأمريكيين بما فيهم العوائل والخدم والموظفين ليعيثوا بهذا البلد فساداً ويغمروه إلحاداً وكفراً.

أيها الشعب.. لو تعرض خادم من الأمريكيين أو طباخ من طباخي الأمريكيين لأحد مراجعكم ورجال دينكم في الشارع وفعل به ما فعل فإنه ليس من شأن الشرطة الإيرانية نهره ومعاقبته! محاكم إيران ليس لها الحق بالتعرض له أو نهيه عن قصده! يجب عندها رفع الدعوة لأمريكا، لمحاكم أمريكا، وعندها فالأسياد هم الذين ينظرون

فيها فقط!

إن هيئة الدولة السابقة صادقت على هذا القانون بيد أنها خجلت فأحجمت عن إعلانه، لكن دولة اليوم رفعته إلى مجلس الشيوخ ومن ثم وبعد التي واللتيا يرفع إلى البرلمان وتحدث بعض المعارضات والمشاحنات وتبادل الآراء ويصادق عليه رغم المعارضين له.

إنهم بخطواتهم هذه أهانوا الشعب الإيراني إهانة لم يسبق لها مثيل حيث وصل الأمر إلى أن اهتمامهم بالحيوانات والكلاب الأميركية أكبر من اهتمامهم بجماهيرهم! لو اصطدمت سيارة إيرانية بكلب أميركي، فالويل للإيراني من المحاكمات والسجون والغرامات. حتى وإن كان الشاه بنفسه يتعرض لكلب من كلاب الأميركيين سوف يتعرض للاستجواب في المحاكم الأميركية! بينما لو تعرض خادم من خدم الأمريكيين للشاه بذاته، تعرض للرجل الأول في البلاد بشخصه، فليس من حق أحد الاعتراض!! لماذا؟

لأنهم أرادوا قروضاً من أميركا، رضوا بهذا الذل والاستعباد. بعد أيام من هذا، طلبوا منهم قرضاً قوامه مئتي مليون دولار. وعلى الفور حصلت الموافقة بتسليمهم المبلغ تدريجياً خلال خمس سنوات، هو مبلغ يسدد لحكومة إيران خلال عشر سنوات ليسترجعوا ثلاثمئة مليون دولار. أيُدرك أحد ما معنى هذا؟

مئتي مليون دولار خلال خمسة أعوام، هي كلفة القوات العسكرية

ولإحكام البنية العسكرية في إيران، وفي المقابل وخلال عشرة أعوام، يسترجعونها بفوائدها ثلاثمئة مليون دولار! بهذا فالحكومة تبيع الوطن بأسره لأجل بضعة دولارات، تبيع استقلال الوطن!! تبيع كرامة الوطن!! إذاً حكومتنا بنفسها اعتبرتنا بلداً مستعمراً واعتبرت الشعب الإيراني أحد الشعوب الذليلة والمتخلفة في العالم!

أيها الشعب المسلم.. كيف نواجه هذه المصائب؟ علماء الدين كيف سيواجهون هذه الابتلاءات؟ إلى من أبث شكواي؟ كل من في العالم خيّل له أن الشعب الإيراني هو الذليل والحقير، وهو الذي بيده الحكم والاختيار، متناسين عدم وجود أية علاقة بين الدولة وبرلمانها وبين الشعب الذي هو بعيد عنهما كل البعد. أيُّ برلمان هذا حيث لا يوجد عضو واحد انتخبه الناس بحريتهم وبآرائهم؟ أين علاقة لهذا البرلمان بالشعب؟ إن الشعب الإيراني السائر على خطى مراجعه وعلمائه لم يشارك بأي انتخابات ولم يصوت لهذا البرلمان. إن هؤلاء كلهم احتلوا مقاعد البرلمان بالقوة وبحد السلاح، وبمكر السلطة وخداعها.

إنهم أدركوا بأن المرجعية والزعامة الدينية سوف لن تترك الساحة لهم ولهذا عمدوا إلى قطع الصلات بها وعزموا على تجميد نفوذها!

لقد وقع في يدي كتاب مدرسيّ لمادة التاريخ؛ يلوثون فيه أفكار أبنائنا وشبابنا بأساطيره وافتراءاته وتزويراته وقد رأيت عبارة في إحدى زواياه تقول: والآن أصبح واضحاً بأن في قطع جذور نفوذ

مراجع الدين يتم الرفاه وتأتي السعادة والحياة السعيدة للأمة!!

إنهم أدركوا جيداً، أنه بوجود الزعامة الدينية سوف لن تكون الأمة أسيرة لبريطانيا يوماً ما ولا لأميركا.

. بوجود علماء الدين لن يتم أي نفوذ لإسرائيل ولن تغزوا البضائع الإسرائيلية أسواق المسلمين.

. بوجود علماء المسلمين لا يستطيعون تقديم طلبات أو قروض مهلكة كالتي كانت في الأمس والتي لا تعود على الوطن والشعب إلا بالدمار والنهب.

. بوجود علماء الدين لن يتسنى لهم نهب بيت المال والعبث فيه كيفما شاؤوا.

. بوجود الزعامة الدينية، سوف لن يكون بمقدورهم العبث بأي شيء أو حرف مسير الأمة تجاههم.

. بوجودهم، سوف لن يتمكنوا من إقامة برلمان مفتضح كهذا تصدر قوانينه بحد السيف والقوة وبمنتهى الذلة والهوان.

. بوجودهم، سوف تتعرض الحكومة وأعضاء البرلمان إلى صفعات على وجوههم وأفواههم.

. بوجودهم، لن يدعوا الحكومة تختار نواب البرلمان اختياراً اعتباطياً وتسلمهم مقدرات الشعب والأمة.

. بوجود الزعامة الدينية لن يدعوا الأمريكيين وعملاءهم يعبثون

بمقدرات البلاد؛ بل تصمد (البلاد) أمامهم وتقارعهم حتى يولّوا الأدبار!

تدعون بأن نفوذنا ووجودنا مضر للشعب والوطن!! كلا، مضرٌ لكم ولأعمالكم! مضرٌ للخونة والعملاء، لا للأمة والجماهير، ترون أنكم لستم أحراراً تجاه أي إجراء تعزمون على القيام به بسبب وجود علماء الدين المجاهدين أمامكم ولهذا وجبت إبادتهم. أردتم فُرقتنا، بذلتم جهوداً جبارة وكبيرة لاختراق صفوفنا، فباءت كلها بالفشل. إن هذا لحلمٌ فلا تحملوا به حتى ساعة الموت، علماء الدين والحوزة وكافة فصائل الحوزة هم اليوم متآخون ومتآلفون أكثر مما مضى ولا تستطيع أية قوة وأية جبهة عدوانية تفريق شملهم وتفتيت وحدتهم.

إنني أحترم وأبجّل كافة العلماء والمعممين، إذا كنت يوماً ما لا أقبّل يداً سوى يد عالم ومرجع فاليوم أقبّل أياديكم بأجمعكم بلا استثناء وحتى أيدي الكسبة والعمال.

أيها الشعب! إن الخطر أمامنا.

أيتها الجيوش! إن الخطر يواجهنا.

أيها السياسيون! الخطر يداهمنا.

أيها التجار! العدو أمامنا.

أيها العلماء! يا أهل العلم! إننا في حالة استثنائية اليوم.

أيها الطلبة! أيها الفضلاء! أيتها الحوزة العلمية! يا علماء النجف! يا علماء قم! يا علماء مشهد! طهران! شيراز إنني أحذِّر من وجود خطر كبير يداهمنا.

إن وراء الستار لخططاً، ومؤامرات لا نعلمها. البرلمان يصرخ بعدم رفع الستائر!! وكشف السرائر!! إن هناك شيئاً ما يهددنا من جديد... أما كفانا ذل الماضي؟ أما كفانا سباتاً في أسر الطغاة؟ ما السر الذي يخافون من إعلانه؟ ما الخطط التي تدور في رؤوسهم؟ أية مصيبة أنزلتها القروض الأميركية على الشعب الإيراني؟ لماذا يتوجب على شعب فقير دفع مئة مليون دولار فوائد لأميركا خلال عشر سنين؟ إنكم أيها الحكام المستبدون بعتمونا، وبعتم الوطن بأسره لأسيادكم.

ما الذي انتفعتم به من وجود القوات الأميركية والخبراء المتخصصين؟ إذا كانت البلاد مستعمرة لأميركا فلماذا هذه الادعاءات ولماذا هذه الضوضاء؟ إلى متى تدعون التحضر والتمدن؟ إذا كان هؤلاء موظفون عاديون فلماذا تخافونهم ولم تنحنون طاعة لكبارهم؟ إذا كانوا موظفين حقاً فلم لا تعاملوهم معاملة أبناء الوطن من الموظفين والعمال، وأصحاب المشاغل الحكومية كما هو الحال في الكثير من بلدان العالم؟ إذا كان بلدنا مستعمراً لأميركا فأفصحوا! وأعلنوا! بل فأرموا بنا خارج البلاد إذاً.

ماذا يريد هؤلاء من هذا البلد؟ ما هي أوامركم لرجال البلاط؟ ما

الذي يفعله البرلمان معنا؟ إن هذا البرلمان غير قانوني، محرَم من قبل كافة المراجع وعلماء الدين المسلمين، البرلمان يدعي الحرية والاستقلال والتحضر وينادي بأنه ولد نتيجة منجزات الثورة البيضاء!

أين هذه الثورة البيضاء التي يُطبّلون لها؟ والله إنني أتململ وأتلوع من الأذى بما لدي من علم كاف لما يجري في القرى والأرياف ولما يمر على شعبنا المستضعف هناك من أيام سود، إنني على علم بما يعانيه القرويون من المجاعة، والافتقار لأبسط حقوقهم الإنسانية، إنني على علم بما يعانونه من تردٍ في أوضاع الزراعة والفلاحة. تأملوا قليلاً وفكّروا في حال هذا الشعب. فكروا بمستقبل البلاد. إلى متى تبقون اذلاء تقترضون هذه المبالغ الضخمة من أميركا، هذه القروض من ورائها ذل وهوان وعمالة! قروضٌ تقدم لكم من أجل سحق كرامتكم، من اجل إعلاء قيمة الحيوانات الأميركية على حساب كرامتكم.

إن هؤلاء وأولئك يطالبوننا بالانعزال والسكوت!! وهل في مثل هذه المجالات أيضاً يتوجب السكوت والصمت؟ أيبيعوننا ونسكت؟

أيبيعون استقلالنا ونسكن عقر دورنا صامتين محجمين؟ والله إنه لمجرم يستحق العقاب كل من يختار السكوت. والله إنه لمرتكب الكبائر من لم يصرخ بوجه هؤلاء الطغاة.

يا زعماء المسلمين! الإسلام يستصرخكم.

يا علماء النجف! يا علماء قم! الإسلام يستنهضكم، الإسلام أصبح

نهباً. (بكاء الحضور).

أيتها الشعوب المسلمة! أيا زعماء العالم الإسلامي! يا رؤساء الدول الإسلامية! استجيبوا لدعواتنا ولصراخنا. أيها الشاه الخائن استعد للمواجهة وتدبر أمرك جيداً.

ألكوننا فقراء ضعفاء يتوجب علينا أن نطأطىء رؤوسنا لأمريكا وندعها تسحق كرامتنا وشرفنا؟ إن أمريكا لأقبح من بريطانيا، وبريطانيا أقذر من أمريكا، وروسيا أمرٌ منهما والكل أقذر من بعضهم، لكن اليوم مهمتنا هي ضد أمريكا.

ليعلم الرئيس الأميركي، ليعلم بأنهم اليوم من أقذر وأنذل البشر عندنا وعند أمتنا المسلمة. اليوم يقف في وجهها القرآن الكريم، يقف في وجهها الشعب الإسلامي الأبي، لتعلم الحكومة الأميركية بأن إيران سوف لن يكون فيها أية ذكرى حسنة عنها وسوف تكشف كل مؤامراتها وفضائحها.

وثمة أعضاء في البرلمان صرخوا ونددوا مطالبين بعدم الانقياد لأميركا بهذا الشكل المفتضح، وحذروا من تسلط أميركا وسلب استقلال البلد! ولكن أين الأذن الواعية؟

معاهدة فيينا لم يذكروا منها ولا بنداً واحداً، المادة رقم 32 لم يتطرقوا إليها مطلقاً، أما ما هي تلك المادة؟ فلا أعلم. ولا رئيس البرلمان يعلم، ولا نواب البرلمان يعلمون، وصفوا لهم وسطّروا لهم بعض

الكلمات والعبارات فوقّع الجميع صُماً وعميانا.

إذا اعترف البعض منهم بأنهم وقّعوا على مادة لم يعرفوا ماهيتها فالسواد الأعظم الذين أحجموا عن الاعتراف هم أعظم جهالة وعمالة.

لقد عُزل كبارنا وأعلامنا السياسيون من مناصبهم ومشاغلهم السياسية الحساسة. بلدنا اليوم لا يمكنه أن يصل إلى هدفٍ ما بزعامة رجال يدّعون الوطنية. ليعلم الجيش ولتعلم القوات المسلحة أن هؤلاء أيضاً سوف يعزلون عن مناصبهم شيئاً فشيئاً. أيها القادة العسكريون هل لكم كرامة بعد اليوم أو شرف ومقام ووجاهة؟ هل تبقى هذه الصفات والنعوت في زمن يمر عليكم يطأطىء فيه كباركم رؤوسهم لطباخ أمريكي، لخادم أمريكي، لأرذال الأمريكيين؟ أين عزّتكم؟ أين شرفكم؟ لو كنت عسكرياً لاستقلت من مهمتي، لو كنت عضواً برلمانياً لاستقلت من منصبي. إنني لست من أولئك الذين يتحملون عاراً وذلاً كهذا.

إن الخبراء والمتخصصين والموظفين الأمريكيين وكل من يلوذ بهم من طباخين وخدم وموظفين وعمال، كلهم لهم حماية وصيانة أمنية من قبل الدولة، لماذا؟ لماذا هذا؟ وعلماؤنا وطلابنا وخطباؤنا يقضون حياتهم في السجون والنفي! لماذا أبناؤنا في منفى مدينة (بندر عباس) وسجونها؟ ألأنّ ذنبهم الذي اقترفوه هو السير على خطى الإسلام؟

على خطى مراجع المسلمين وزعمائهم؟

هؤلاء الجناة اعترفوا جلياً عندما دسّوا أفكارهم السامة في كتب التاريخ المدرسية، أعلنوا بأن سعادة الشعب تكمن في قطع يد الحوزة العلمية. عجباً!! أي بقطع يد رسول الله ﷺ يحصل الشعب على سعادته وآماله!! إن علماء الدين لايوجد عندهم شيء، إنما كل ما لديهم هو من رسول الله ﷺ يريدون قطع أيدينا، يريدون القضاء علينا، يريدون محونا كي ترتاح إسرائيل منا، ترتاح أمريكا منا، لكي يخلو الجو لهم ليعبثوا في البلاد كيفما شاؤوا!!

إن جميع مصائبنا من أميركا، ومعضلاتنا من إسرائيل، إسرائيل جزء من أميركا، نواب برلماننا جزء من أميركا، وزراؤنا جزء من أميركا، كلهم عملاء لأميركا، وإلاً فلِمَ لا يقفون بوجهها صارخين؟؟

إنني الآن بحالة لا تساعدني على استرجاع ذكرياتي جيداً، حافظتي تخونني، المصائب هدمتني وحطمتني.. في إحدى دورات البرلمان التي كان السيد حسن المدرس عضواً فيها، أرسلت روسيا معاهدة واتفاقية لا أستحضر موادها جيداً الآن، إلى حكومة إيران ليصادق عليها دون قيد أو شرط وإلاً فستتعرض البلاد لهجوم من قبلهم من مدينة قزوين وفي النهاية يتم دخول العاصمة واحتلالها! وضغطت الحكومة آنذاك على البرلمان من أجل المصادقة عليها.

يقول أحد المؤرخين الأمريكيين: كان هناك شيخ يتكىء على عصاً

في البرلمان (السيد حسن المدرس) انتفض من مكانه وتصدر المنصة وقال: الآن وقد عُزم على مسخنا وتحطيمنا، فما هو الداعي والموجب أن نوقع على هذا بأصابعنا؟! أمهلوهم ليدمِّرونا ونحن شرفاء أعزاء!! حيث على أثره تجرأ الباقون على المعارضة والمخالفة وفي الوقت نفسه أحجمت روسيا عن المسألة بالمرة!!

أجل هذه هي الزعامة الدينية، هذه هي القدوة الدينية، رجلٌ نحيفٌ عجوزٌ ضعيف يتوكأ على عصاً، هكذا وقف بوجه روسيا وأحبط أهدافها. كذلك لو كان اليوم رجل منا في البرلمان، لما كان يصل الوضع بنا إلى هذا الحد. ولهذا فهم يريدون بتر أصابعنا واستئصال نفوذنا وجذورنا! الكلام طويل والحوادث جمة والحديث ذو شجون، وليس باستطاعتي وأنا بهذه الحالة من الصحة أن أتطرق إلى جميع ما في البلاد، إلاّ أنني أوصي إخواني وأبنائي والجماهير المسلمة، بنشر هذه الحقائق وبث هذه الأفكار، علماء الدين موظفون لإعلام الناس، الأمة مسؤولة بالتحرك والالتفاف حول علماء الدين والاسترشاد بنصائحهم وتعاليمهم. يجب على الأمة أن تصرخ بوجه البرلمان، وبوجه الحكومة لمعرفة أسباب الدمار الذي يحلُ في البلاد. يجب على الشعب أن يستنطق النظام ويستفسر منه عن سبب الإذلال هذا، وعن سبب بيع الوطن للأجانب المستعمرين. يجب أن تصرخ الأمة وتنادي النواب بالتنحي عن مقاعدهم ومناصبهم لأنهم ليسوا ممثلين

للشعب، الممثل للشعب ليس بخائن، والذي يخون الشعب تسقط جميع صلاحياته من البرلمان تلك هي خيانة للوطن. خيانة للإسلام، للدين، للقرآن، كل من وافق على هذا البرلمان فهو خائن وحتى الموافقون من أولئك الشيبة في مجلس الشيوخ هم خونة، وليعلم العالم والجميع بأن أعضاء البرلمان هم ليسوا ممثلين شرعيين للشعب، كل ما صادقوا عليه ليست له أي قيمة وأي اعتبار رسمي، لأن البرلمان هذا مزيف وغير شرعي وليس قانونياً استناداً للقانون، وطبقاً للمادة الثانية من ملحق الدستور إن لم تمر اللائحة على خمسة من فقهاء المسلمين للنظر فيها، فهي غير قانونية وغير شرعية وليس لها أي اعتبار آخر.

منذ اليوم الأول من الحركة الدستورية وإلى يومنا هذا، أيُّ فقيه أو مجتهد كان مطلعاً على القوانين المصوبة واللوائح المقدمة؟ لو كان واحد من المجتهدين في البرلمان لكان يقلب حساباتكم الخائنة هذه رأساً على عقب.

إنني أخاطب أولئك الأعضاء الذين يدّعون مخالفتهم لهذا القانون المذل واعتراضهم عليه، أخاطبكم وأحتج عليكم.. إذا كنتم حقاً مخالفين فلماذا سكتم وجلستم في مقاعدكم، لماذا تظهرون هذا التملق الشديد لذلك الخائن الدجال؟ أحقاً مخالفون أنتم؟.. لو كنتم معارضين حقيقة لأمسكتم ذلك الذليل من تلابيبه ليعتبر

الآخرون به.. هل المعارضة هي مجرد كلمة تُطلق من الأفواه ومن ثم تتخذون الصمت والسكوت بعدها؟

المعارضة هي قلب البرلمان رأساً على عقب، الصراخ أمام رئيسه، الضوضاء تعم كافة أركانه، كيف تصمتون والقانون يخرج من البرلمان مصادقاً عليه أمام أعينكم. إننا لا نعترف بقوانينهم، لا نعترف بالبرلمان، لا نعترف بالحكومة أبداً، هؤلاء خونة للبلاد والأمة.

أسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين، وأن يحفظ كرامتهم ومقدساتهم من كيد الخائنين والظالمين. وأسأله أن يرسل كسفاً من السماء على جميع الذين يخونون البلاد والإسلام والشعب المظلوم».

وإضافة لهذا قام الإمام بنشر بيانات تطرّق فيها لخيانة رجال النظام والمسؤولين تجاه المصادقة على لائحة الحصانة للأمريكيين، ووصف الإمام هذا القانون بأنه:

«إقرار على إذلال إيران والشعب الإيراني»، و «هو تأكيد على استمرارية الاستعمار للبلاد»، وأنه «إجراء لم يحدث له مثيل في السابق من أي حكومة وسلطة اضطهدت شعبها بهذا الشكل».

وأكّد أيضاً خلال بياناته هذه:

«إنني أؤكد معلناً بأن مجلس الشيوخ والبرلمان هما أعداء للإسلام والقرآن مخالفون له ولا يمتلكان أية صفة رسمية وقانونية. أعضاؤها أعداء للأمة والوطن، إنهم ليسوا ممثلين للشعب ولن يكونوا مطلقاً

كذلك، إنما فرضتهم القوة وحسب. آراؤهم وأصواتهم لا تعادل شيئاً عند الشعب المسلم، وإذا كان الأجانب يستندون إلى آرائهم وأصواتهم فإن الشعب والأمة الإسلامية سوف تقرر المصير بنفسها.

ليعلم أبناء العالم بأسره بأن جميع مصائبنا ومشاكلنا ومشاكل الأمة الإسلامية هي من أولئك الأجانب، من أولئك الأمريكيين، العالم الإسلامي يتبرأ من الأجانب المستعمرين عامة ومن الأمريكيين خاصة..».

ثم يضيف قائلاً:

«إن أميركا هي التي تقف وراء إسرائيل، أميركا هي التي تساند إسرائيل لدحر وتشريد العرب المسلمين، أميركا هي التي تسيِّر أمور بلادنا عبر عملائها مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أميركا هي التي ترى أن القرآن والإسلام خطر عليها وتريد دحضهما، أميركا هي التي ترى علماء الدين المجاهدين عائقاً وسداً منيعاً حائلاً أمام أهدافها ومآربها، أميركا هي التي تأمر النظام بالمثول لأوامرها، وهي التي أمرتهم بالموافقة والمصادقة على هذا القانون الشنيع المذل للمسلمين ولمفاخرهم الإسلامية والوطنية، اليوم اقتصاد بلادنا بيد الأميركيين والإسرائيليين، الأسواق التجارية والعجلة الاقتصادية خرجت من يد المسلمين، أمور المسلمين اليوم بأيديهم وبإمرتهم يقوم النظام بنهب وإذلال الشعب وفرض الفقر والحرمان عليه باسم الإصلاحات من أجل

إرضاء هؤلاء المجرمين المعتدين، وليس من ناصر للشعب المظلوم هذا إلاّ الله».

ثم يؤكد الإمام قائلاً:

«... تحطيم السلاسل هذه ملقىً على عاتق الأمة، وعلى عاتق الجيش الإيراني الذي سوف لن يسمح للمعتدين بالتعرض لنا... يجب علينا جميعاً إسقاط هذه الحكومة، يجب علينا أن نقضي على اعضاء البرلمان وأن نلقيهم خارجه، على الطلبة والمعممين مناشدة كبارهم من المراجع والمجتهدين لتحريضهم على الخروج من هذا السكوت والصمت... على طلبتنا الجامعيين الوقوف أمام هذه الطغمة الفاسدة... يجب على الطلبة الجامعيين في البلاد الأجنبية دعم الحركة الإسلامية فليندّدوا بمواقف العملاء والمستعمرين هذه».

وبعد تسعة أيام من خطاب الإمام هذا أي في 4 تشرين الثاني 1964 شهدت مدينة قم حشوداً كبيرة من رجال القوات الخاصة، حيث حاصروا منزل الإمام واقتحموه وألقوا القبض عليه، وسرعان ما نقلوه إلى العاصمة، ومن ثم إلى المطار فأقلته طائرة شحن أعدت لهذه المهمة من قبل، حيث نقلته إلى منفاه في تركيا.

الفصل السادس:

الإمام في المنفى

القسم الأول: في تركيا

«من أجل استقلال وطني، نُفيتُ عنه».

إنها أول عبارة أطلقها الإمام مخاطباً أحد مراقبيه في الطائرة التي أقلّته إلى تركيا.

وبعد وصول الإمام إلى أنقرة، وانتقاله إلى محل إقامته بعث برسالة إلى نجله الشهيد السيد مصطفى، يطمئنه فيها عن حاله.

ثم بعد عشرة أيام أرسل الإمام رسالة أخرى يؤكد فيها على عدم الالتجاء إلى أحد ويصف حاله هذا بأنه «**لطف من الله الذي لا يصدر منه إلا الجميل وهذا يحتاج إلى صبر جميل**».

وكان قدس سره في منفاه يستقصي أخبار البلاد من الإذاعات ومن خلال لقاءاته مع بعض الإيرانيين حتى أنه قال لأحدهم:

«لقد بلغني أن رئيس الوزراء يدعي بأن الأمور على ما يرام ولا شيء هناك غير طبيعي وناقص، وردتني تقارير من مدينة قم مفادها أنه إذا لم يصل الوقود الكافي والمناسب إلى هذه المدينة سوف يتعرض سكانها إلى الهلاك. ولكن استطعت أن أوزع 1000 طن من الفحم على هؤلاء

الناس؛ ويقول رئيس الوزراء كل شيء على ما يرام».

وعندما سأله أحد ممثلي بعض مراجع المسلمين آنذاك حول احتمال تسهيل سبُل العودة أجاب مقاطعاً:

«لقد عاهدت الله ونفسي على أن لا أتراجع أمام السلطة وأن لا أستسلم لأعمالهم الدنيئة».

وفي الرابع من نيسان 1965م أي بعد أحد عشر شهراً من نفي الإمام إلى تركيا قامت السلطة عبر عناصرها من رجال السافاك بنقل الإمام إلى العراق. وهدفت السلطة من وراء ذلك إلى هدفين اثنين:

أولاً: تفادي نشوب حركة جماهيرية محتملة وليوهم العالم بأنه أعطى امتيازاً للعلماء والمراجع.

ثانياً: تضليل الرأي العام على أن الإمام ترك السياسة وانضم إلى الدرس والبحث في الحوزة العلمية في النجف.

القسم الثاني في العراق

وصل الإمام قدس سره إلى بغداد يرافقه نجله السيد مصطفى وساعة وصوله إلى بغداد قصد زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

بعد أربعين يوماً من دخول الإمام العراق افتتح حوزته الدينية والعلمية في النجف في جامع الشيخ الأنصاري. وفي اليوم الأول من استئناف محاضراته خطب بالحاضرين خطاباً مهماً ومما جاء فيه

قوله قدس سره :

«... الإسلام هو ليس جانباً تعبدياً ينحصر في إطار الصلاة والصيام والدعاء والتسبيح، هذا هو باب واحد من أبواب الإسلام، إن الإسلام له منهج خاص وسياسة خاصة به، الإسلام يعني إدارة البلاد، وإدارة الأمور العامة و...، مع الأسف الشديد إننا اتخذنا طرقاً ومناهج ليست مجدية، وبذلنا جهودنا في المجال الديني البحت فقط، ولم نتطرق إلى أمور الأمة، وإدارة نظامها».

وأضاف:

«... المساجد في عهد الرسول وفي الصدر الأول كانت كلها قواعد سياسية للإسلام، وفي المساجد كانت توضع مخططات الحروب.. في المساجد كانت تدار أمور البلاد... وكانت خطب صلاة الجمعة تدور حول السياسة والحروب وإدارة البلاد و...».

ثم تطرق إلى مسؤولية العلماء، والمراجع تجاه إقامة الحكومة الإسلامية فقال:

«... كما أن رسول الله كان مسؤولاً عن إقامة الدولة الإسلامية فعلماء اليوم هم أيضاً مسؤولون عن ذلك، ويجب عليهم أن يبينوا احكام الإسلام بشكلها الصحيح بدلاً من الوقوف عند صيغتها الجامدة التي لا يعرفون منها سوى تحريك اللسان بها وحمل كتاب الدعاء.. على أولئك توضيح حقيقة الدين الإسلامي كما هي. يجب أن

يعرف العالم أنَّ لنا ديناً متكاملاً شاملاً لكل مجالات الحياة وأن لنا ديناً متكاملاً دنيوياً وأخروياً. إن ديناً مثل هذا من الذي يجب عليه أن يظهره؟ ألم تكن هذه هي وظيفة العلماء؟».

كما أن الإمام قام بإرسال عدة رسائل وبرقيات إلى الكثير من العلماء المجاهدين في إيران يحثهم فيها على متابعة النضال والجهاد وقد جاء في بعضها ما يلي:

«إنه يؤلمني كثيراً ما حلَّ بالمسلمين في إيران بالأخص بعلماء الدين والطلبة، طلبة السنوات الأخيرة. بيد أن هذه الآلام، والضغوط، والتضحيات التي تحملتها الحوزة العلمية، والسادة الفضلاء، وجميع الأخوة المؤمنين عادت على المسلمين، على العالم الإسلامي بالمنفعة والحمد لله.. إنها من الألطاف الإلهية التي دعت الأمة أن تبلغ مرحلة من النضج والوعي والتجدد لم تشهدها من قبل... إن مهمة علماء المسلمين اليوم تعاظمت وكبرت وهي تحتاج اليوم إلى صمود وشجاعة، وصدٍّ عن حرمات الله، وعن الدين، والمقدسات، والحوزة العلمية، وعليهم تبليغ أحكام الإسلام بوعي متفتح».

«طلبتنا الشباب الأعزاء وفّقهم الله تعالى وأيدهم، هم الآخرون المسؤولون عن دعم الحركة الإسلامية والوقوف إلى جانب علمائهم وأساتذتهم، وعليهم أن يعوا المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، والتي ستتعاظم في المستقبل؛ لكي يستعدوا للتصدي لأعداء الأمة

وللقيام بواجبهم المقدس المثالي».

«إن هذه الدنيا الدنيئة بزخرفها وزينتها سوف تمر علينا جميعاً. إنه لمن دواعي السرور والفرح أن يقضي الإنسان عمره المعدود هذا في طاعة الله، وخدمة دينه القويم، وخدمة إخوانه المسلمين، ونصرتهم من ظلم المتجاوزين والمستبدين».

ثم يبتهل إلى الله داعياً فيقول:

«إنني أرفع يديّ نحو السماء وتحت قباب أئمتنا، وأتضرع إليه وأسأله نصرة الإسلام والمسلمين، والحوزة والشباب المؤمن المناضل».

ونرى الإمام متلهفاً ومتشوقاً إلى أيامه الحوزوية السابقة في قم وذلك عبر رسائله التي كان يرسلها إلى علماء إيران طيلة خمس سنوات من الزمن، ويُرى الإمام فيها حزيناً وكئيباً لما كان يلاقيه من جمود وخمول سياسي في الحوزة العلمية وفي النجف، ويشيد بعلماء إيران والحوزة العلمية في قم فيقول:

«... لقد أشرفت على السنين الأخيرة من عمري ولا أعلم أين سيؤول بنا الدهر ونحن واقعون بين مطاردة وضغوط البعض (يقصد الشاه ونظامه) **وبين تساهل بعضنا ولا مبالاتهم!».**

وجاء في إحدى رسائله الموجهة إلى بعض مراجع الدين في قم قائلاً:

«... أبلغ الجميع بأنني مشتاق جداً للمثول بين أياديكم لأشارككم

أفراحكم وأحزانكم، إن أولئك الثلّة من العلماء والفضلاء الذين أثبتوا جدارتهم، ووفاءهم تجاه قضيتهم هم الذين أنظر إليهم بأملٍ كبير وإنني لأرى طريقي مشرقاً بأنوارهم، وإن شاء الله سأكون بينكم في أول لحظة يسهل الله بها عليّ».

وكان أول بيان رسمي صدر عن الإمام كان بعد نفيه بعامين ونصف العام ومماجاء فيه:

«أيها الشعب الإيراني البطل إنني أبشركم بالنصر القريب وبهزيمة النظام الجبار. اصمدوا أمام الظلم والقمع. إنهم زائلون لا محالة وأنتم أيها الصامدون باقون إن شاء الله، إن الظلم لا يدوم أبداً أمام عواطف الأمة الجياشة. لقد مرت علينا أيام صعبة سوداء من قبل من سبق هؤلاء الجبابرة، لقد وقفنا في وجههم طيلة أيام حكمهم ولم تتزلزل أقدامنا أبداً، واجهنا ضغوطهم، واغتيالاتهم، وغاراتهم وظلمهم، ولم نركن للجمود والخمول والتراجع أبداً. لقد صمدنا ووقفنا حتى انهاروا وسقطوا أمام أعيننا. وما عليكم سوى الصمود والوقوف أمام هؤلاء كي يهووا من تلك المشارف المزيفة ليلقى كلٌ واحد منهم جزاءه الموعود.

الاستسلام لا معنى له.. إنهم صمّموا على محوكم تماماً. لا تُخدعوا بأساليبهم ومكرهم إذ يأخذونكم باللين والرفق، وبمختلف الأساليب، وما عليكم سوى الاستقامة والصمود، وإظهار الحق حتى

يتقهقروا».

وتزامنا مع هذا البيان الذي وجهه إلى الحوزة العلمية في إيران، أرسل الإمام رسالة إلى رئيس الوزراء آنذاك أمير عباس هويدا[15] وكانت آخر نداء يوجهه إلى السلطة الجائرة ليقيم عليهم الحجة، وليقطع كافة الاتصالات بهم نهائياً.

نص رسالة الإمام كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»

حضرة السيد هويدا! يلزمني أن أقدم لك بعض النصائح والتوجيهات سواء كنت مبالياً أم غير مبالٍ، إنني مررت بأيام طويلة في محنة وعناء وتعب نتيجة جريمتي التي اقترفتها بحق النظام، وهي اعتراضي على المؤامرات والخطط الاستعمارية والحصانة للأميركيين الذين هم مصدر استعمار البلاد، والتي أدت إلى إبعادي ونفيي خارج البلاد خلافاً للقانون والشرع والدستور، وإنني لم أغفل لحظة عن مراقبة الأوضاع واستقصاء الأخبار من بلدي وما يجري فيه على شعبنا المظلوم من قبلكم.. من قبل حكومتكم المستبدة.. حكومتكم البوليسية الخارقة للقوانين، حكومتكم وحكومة أسلافكم... حكومة الظلم والاضطهاد والتعذيب والسجون، حكومة النهب والسلب والوحشية والعنجهية. باسم الحركة الدستورية قضيتم على الإسلام،

وباسم الإسلام قضيتم على القرآن والأمة والدين. باسم التعاليم الإسلامية سحقتم أحكامه واحداً بعد الآخر، وباسم التقدم والتحضر أرجعتم البلاد إلى عهود وقرون بغيضة إلى الماضي الأسود. إنها حقائق مُرَّة سوف لن أسكت عنها وسوف أبلغ العالم بأسره عنها وسوف أؤكد على بعضها، لكي يتذكر الناسون والمتناسون لتكاليفهم ومسؤولياتهم وليعوا وليحذروا من مواقفهم المرائية تجاهكم.

احتفالاتكم الوطنية المبتدعة التي تقام مرات ومرات خلال السنة وتعود بأرباح هائلة لبعض الشخصيات، وفي كل احتفال منها تسقط أحكام والتزامات شرعية في البلاد، وتعود بالذل والخذلان على الإسلام والمسلمين، وللأمة المستضعفة هو نموذج واحد من خططكم المدمرة.. إحدى حفلاتكم التي لا أستطيع أن أعبّر عنها وأصفها بشيء سوى بالخزي والفحشاء والمنكر والبغي صرف عليها أربعة مليارات ريالٍ نصفها من ميزانية الدولة، ونصفها الآخر من التجار وأهل الحرف، والتي أخذت منهم زوراً. ما دامت الأمة غارقة في سباتها ونومها العميق ولم تتنبه إلى هذه المؤامرات فهو لكم يوم عيد، وللأمة ذل وهوان وعزاء. لقد انتهكتم بأعيادكم واحتفالاتكم هذه العديد من المسلمين التي يعجز القلم بل يعزب عن ذكرها لعارها.

لقد سكنتم مساكن عظيمة وفخمة وقصوراً لم يشهد لها مثيل تستبدلونها كل عام بأفضل منها وهيأتموها من النهب والسرقات التي

لا يمكن للشعب أن يصدقها، وأنتم تنظرون إليه وهو يعيش حالة الفقر والحرمان، حيث الأسواق معطلة وراكدة، والفقر يعم الجميع والشباب تائه في الشوارع وترون وضع الزراعة والفلاحة المدمر وتسلط إسرائيل على كافة الأصعدة الاقتصاية في البلاد. حتى إن إسرائيل قد دخلت في المجال الثقافي للبلاد!!

لماذا هذه المعاهدات مع إسرائيل العدو اللدود للإسلام والمسلمين والتي تسببت في تشريد مليون مسلم عن أوطانهم. لا تجرحوا عواطف المسلمين!! كفى ذلاً واستعباداً!! كُفّوا عن مساعدة إسرائيل وعن استقدام عملائهم إلى البلاد، لا تجعلوا اقتصاد البلد عرضة للتهدم والانهيار نزولاً عند رغبة الإسرائيليين. لا تدعوا إسرائيل تهيمن على ثقافتنا وتراثنا.. مساعدة إسرائيل والاستسلام لها والانصياع لأوامرها ما هو إلا دليل للضعف والعمالة، وهو وثيقة تعرب عن خيانتكم للإسلام والمسلمين. إعطاء حق الحصانة للأجانب الأميركيين ما هو إلا عار وذل يجركم نحو الاستسلام والانصياع.

إنكم تعلمون جيداً بما فعلتموه عندما أعلنتم عن هذا القانون وعرفتم كيف خنتم الإسلام والبلاد وعرفتم كيف قصمتم ظهر استقلال البلاد. وطبيعي جداً فإن من يعارض هذا يُنفى ويُبعَد عن البلد!! إنكم تعلمون جيداً فيما لو استلمت الأمة زمام أمورها فسوف لن تقوم لكم قائمة إلى الأبد، ولو منحتم الحرية العامة للكتّاب

والمتحدثين عشرة أيام فقط لكشفوا عن جميع جرائمكم ومؤامراتكم الدنيئة.. لا تجعلوا علماء الأمة ورجالاتها يقفون موقفاً متطرفاً وصارماً منكم... هذه كلها بضع من الكثير من فضائحكم وجرائمكم. هناك كلام كثير وطويل حول الأمة والسلطة... أقول لكم ولعلكم تنتبهون لمسؤولياتكم وتكاليفكم، لعل الطلبة والشباب والطبقة المثقفة وجميع القطاعات يضطلعون بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، لعل ولعل...».

الإمام و الحرب الإسرائيلية العربية الثالثة

في صيف 1967 م وقعت الحرب الثالثة بين إسرائيل والدول العربية والتي دامت ستة أيام فقط. وهنا أصدر الإمام بياناً حول هذا الحدث (وأذيع عبر الإذاعة العراقية من بغداد) وإليكم نص البيان:

«لقد حذّرت الدول الإسلامية مراراً وتكراراً وبالأخص دولة إيران من مؤامرات الاستعمار والصهاينة وما يدبّرونه لنا من خطط وأفكار هدّامة يبثونها بين صفوفنا من أجل فرقتنا والسيطرة علينا وعلى بلادنا وثرواتنا. إسرائيل هذه الجرثومة الفاسدة الفتاكة استعملها الاستعمار أداةً له لتخريب وتهديم صفوفنا وكل يوم يمر علينا نراها تتوغل في بلادنا الإسلامية أكثر فأكثر، ويجب على الدول الإسلامية الكبرى وعلى جميع المسلمين الاتحاد والوفاق من أجل التصدي لهذا

العدوان. إسرائيل قامت بقوة الدول الاستعمارية الكبرى ويجب على المسلمين والدول الإسلامية قمعها وإسقاطها. مساعدة إسرائيل وبيعها السلاح والنفط وأي شيء حرام وغير جائز ومخالف لأوامر الإسلام ونواهيه. يجب على جميع المسلمين قطع الروابط التجارية والاقتصادية، معهم وعليهم مقاطعة البضائع الإسرائيلية أينما وجدت. أسأل الله تعالى نصر الإسلام وأهله آمين رب العالمين».

وبعد عام واحد على هذا أصدر الإمام فتوى شرعية تجوّز صرف الزكاة والصدقات على المدافعين المجاهدين الفلسطينيين معلناً بذلك دعمه واهتمامه بالقضية الفلسطينية والإسلامية.

وبعد مرور عامين على هذا العدوان الشرير، قامت إسرائيل بقصف المسجد الأقصى وأضرمت النيران فيه.

أما الإمام فقد أعلن عن رأيه تجاه هذه الحادثة عندما التقته صحيفة «الجمهورية» العراقية فقال:

«ما دامت فلسطين محتلة يجب على المسلمين عدم بناء وترميم المسجد الأقصى حتى استعادتها بالكامل. يجب على المسلمين ترك المسجد بصورته هذه لتبقى صورة إسرائيل الجنائية والمدمرة ذكرى على مدى الزمن؛ ولكي يدرك العالم من هي إسرائيل وما هي خططها»

وأضاف لاحقاً:

«.. لقد حرقوا المسجد الأقصى وكل شيء. فنادينا وصرخنا وأعلنا

بتركه على حاله تلك، كي يتعرف العالم على آثار جرائم إسرائيل، إلاّ أن الشاه فتح صندوقاً لإعادة بنائه وترميمه وشجع الشعب على التبرعات والهبات ليملأ جيوبه من جهة وليغسل عار إسرائيل من جهة أخرى».

الإمام والنظام العراقي

نص الحوارات واللقاءات التي دارت بين الإمام ورجال السلطة في العراق نقلها السيد روحاني في كتابه «نهضة الإمام الخميني». مجمل لقاءاتهم كانت منصبّة على كسب دعم الإمام لهم لكونه معارضاً لنظام الشاه.. بينما الإمام رد عليهم رداً عنيفاً وقاطعاً فقال:

«أولاً إن خلافنا مع النظام الشاهنشاهي هو اختلاف عقائدي وأصولي متجذّر وليس له حل مطلقاً، بينما خلافكم مع إيران خلاف موسمي وفصلي وستعود العلاقات على ما كانت عليه بمرور الزمن. ثم إن أحدكم يتعرض للآخر ويطعن به وسوف تمر الأيام والليالي وتصبحون يداً واحدة وأصدقاء حميمين، بينما نحن لنا مبادىء وأصول ثابتة ولا نستطيع أن نركن للظالمين أبداً».

ثم تطرق إلى جرائم الحزب الحاكم وقال:

«ثانياً ما الذي أعرضتم عنه وفعلته إيران؟ لقد قمعت السلطات الإيرانية الجماهير بأبشع صورة وقتلتهم شر قتلة وأنتم اليوم بطرقكم

الوحشية الشنيعة تشردون الآلاف من الإيرانيين وتطردونهم ظلماً وعدواناً من العراق. ولم تكتفوا بذلك بل أهنتم العلماء وأهل العلم الفضلاء الكبار. وحسب ما بلغني إنكم سحبتم الإيرانيين في مدينة الكاظمية من الحمامات وألقيتم بهم في سيارات خاصة وبصورة بشعة ونقلتموهم إلى الحدود... إذا كان الشاه قد اقترف سيئة فلقد اقترفتم سيئات وسيئات(1)».

وبعد شهر قام محافظ مدينة كربلاء نيابة عن رئيس الجمهورية بزيارة مراجع النجف ومن ضمنهم الإمام.

في اليوم التالي أعلنت صحيفة «الجمهورية» العراقية نبأ زيارة المحافظ لمراجع النجف وأعلنت ما يلي:

«... إن الزعامة الدينية والمراجع ورجال الحق والعدالة يؤيدون ويبجّلون ثورة السابع عشر من تموز أشد التأييد والتبجيل...»

وبعد يومين استدعى الإمام قائم مقام النجف الأشرف وطالبه بتكذيب كل ما ورد في صحيفة الجمهورية رسمياً عبر رجال السلطة والمسؤولين وهدده قائلاً:

«إن لم يتم هذا فسوف استدعي كافة سفراء الدول الإسلامية وأبلغهم بكل ما اتهمتمونا به وافتريتموه علينا، فمن الآن وصاعداً سوف لن أستقبل أي مسؤول عراقي كيلا يكون لكم مجال لافتراءات أخرى».

وبالفعل تم تكذيب الخبر لكن بأسلوب فني حيث أعلنت الصحيفة عن وقوع اشتباه.

ورغم أن الإمام كان مبعداً سياسياً من قبل النظام الإيراني ومراقباً أشد المراقبة من قبل النظام العراقي فقد أرسل برقية إلى الرئيس العراقي يندد فيها بالتصرفات الشنيعة بحق المقيمين الإيرانيين وتعرض لما قام به رجال النظام تجاه الإيرانيين الأبرياء وقال:

«إنه وبعقيدتي أن حكومة تقوم بأعمال لا إنسانية وجائرة مع ثلة من النساء والأطفال، وتعرضهم للدمار والهلاك في هذه الأجواء السيئة والطقس البارد، فإنها ستعرض نفسها للانهيار والدمار وتجعل كرامتها ومكانتها السياسية موضع سخرية». ومن ثم طالبه قائلاً: **«بناء على هذا وعلى ملاحظات أخرى نأمل منكم إعادة النظر في هذا الموضوع، والعمل على مراعاة الأخوة الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم والرسول الأكرم ﷺ»** لكن النظام استمر بتهجير الإيرانيين كما في السابق. فأعلن الإمام عن عزمه وتصميمه على الرحيل من خلال خطاب ألقاه عام 1971 حيث قال:

«من الآن وصاعداً لا أرى أهمية لوجودي وبقائي في العراق، لذا سوف أقدم الأوراق الرسمية للسلطات غداً لأخذ تأشيرة الخروج.. إنه ليصعب علي البقاء وأنا أرى بأم عيني إذلال أبناء وطني، وإخراجهم، وترحيل إخوتي من علماء الدين بهذه الطريقة المزرية.. إخوتي علماء

الدين: إن وضع الموظفين والكسبة والتجار هو أسوأ بكثير من وضعكم وهم اليوم وعوائلهم وأطفالهم في هذا الطقس البارد الشديد يقفون ساعات مديدة على الحدود يعاملون معاملة بشعة جداً. لم يعامل العراقيون اليهود هذه المعاملة، حيث أمهلوهم عندما أخرجوهم من العراق ستة أشهر وشكّلوا لهم لجنة خاصة لجمع وتقسيم أموالهم بالعدل والمساواة ليوزعوها بينهم.. فمن هذا أصبحت إقامتي في هذا البلد حرجة وصعبة.. وسوف أقدم جوازاتنا إلى السلطات من أجل الحصول على الموافقة لأخرج إلى لبنان وأتخذه مقراً لي...».

لكن النظام العراقي امتنع عن منحه الموافقة والسماح له بالمغادرة.

وفي ربيع عام 1973 وبمناسبة مرور عشرة أعوام على ما يسمى بثورة الشاه البيضاء، ألقى الإمام خطاباً منددا بالشاه قائلاً:

«خلال عشر سنوات... خلال عقد مضى من الزمن على تلك الثورة المزعومة، مرت محن ومصائب عظيمة وجمة على شعبنا ووطننا، لقد كانت منجزاتها القتل والتشريد والدمار والفقر والحرمان وزج الكثير من العلماء وأهل العلم والشباب في السجون، هذه هي منجزاتها وهذه هي عوائدها على الأمة الإسلامية والوطن الإسلامي ثمرات هذه الثورة النكراء هي هتك حرمات المسلمين وقتل علمائهم وفضلائهم وممارسة مختلف أنواع التعذيب وشنّ الهجوم على المدارس الدينية والفيضية وإبادة الشعب في انتفاضة الخامس من حزيران التي راح

ضحيتها خمسة عشر ألف قتيل (كما هو معروف).

ومن نتائجها المفجعة الحصانة الأمنية للأميركيين وأتباعهم وطمس هيبة البلاد وجلالها، وبيع استقلالها القضائي والحقوقي، وتسليم كافة أنظمتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية والزراعية للأميركيين والصهاينة.. هذه هي افتخارات النظام الجائر الذي يقوم بإشادة وإقامة مختلف الحفلات والأفراح لها ويمتص كافة تكاليفها من دماء الشعب».

الإمام والحرب الإسرائيلية العربية الرابعة

مع حلول خريف عام 1973م شنت القوات السورية والمصرية هجوماً مباغتاً على الكيان الصهيوني الغاصب في كل من مرتفعات الجولان وصحراء سيناء وبعد يومين من بدء المعركة أصدر الإمام الخميني بياناً وجّهه إلى العالم الإسلامي وإلى الدول الإسلامية جاء فيه:

«... إن على كل الدول الإسلامية وبالأخص العربية منها الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه فهو الذي يؤيد عباده بنصره، إن عليها جمع كل الطاقات والقوى وتعبئة الشباب الفدائي والتوجه إلى ساحات القتال لدعم ومساندة المقاتلين في الصفوف والخطوط الأولى للجبهات الذين ينتظرون مطلق العون والمساعدة منكم من أجل

تحرير فلسطين، ومن أجل إعادة شرفنا وكرامتنا ومجدنا وعظمة إسلامنا، علينا جميعاً توحيد صفوفنا ورصها وبناؤها أقوى وأقوى، وعلينا نبذ الخلافات والنفاق الذي لا يعود علينا إلاّ بالذل والهوان والهزيمة. علينا أن لا نصغي لتهديدات الدول الكبرى المؤيدة لإسرائيل.. علينا أن نقاوم ونصمد وأن لا نركن للخمول والإهمال فإننا بهذا قد نواجه الهزيمة والخسارة..

على الدول الإسلامية المصدرة للنفط أن تجعل كل طاقاتها وإمكاناتها في خدمة الحرب التحريرية هذه من أجل قطع أيادي إسرائيل وجميع المستعمرين وعليهم مقاطعة الدول المساندة للصهيونية وعدم بيعها النفط». وتابع قائلاً:

«على جميع المسلمين نظراً للمسؤولية الملقاة على عاتقهم ونظراً للأخوة الدينية والإيمانية عليهم تقديم جميع أنواع المساعدات لإخوانهم المقاتلين من أجل قمع هذه الطغمة الفاسدة واجتثاثها من وجه هذه الأرض، عليهم تقديم كل الخدمات المادية والمعنوية وإرسال السلاح وأكياس الدم والعلاج والمؤونة وما إلى ذلك.. على إخواني المسلمين في إيران مساندة إخوانهم المسلمين العرب وعليهم مشاركتهم في هذه الفضيلة، فضيلة الجهاد، لقمع الصهيونية ودحرها على أن يكون تحرككم المبارك هذا أداة لتحطيم حاجز الصمت والسكوت من الحكومة الإيرانية، وأن تكف عن موقفها السلبي هذا وتقف مع الدول

الإسلامية جنباً إلى جنب، وتشاركها أفراحها وانتصارها. علينا جميعاً وعلى كل المسلمين والأحرار في العالم أن يهبوا بوجه الاعتداءات الإسرائيلية اللاإنسانية».

وبعد مرور أيام أصدر الإمام بياناً آخر خاطب به الأمة الإسلامية في إيران واتهم النظام بالعمالة لإسرائيل. وقال:

«في مثل واقعة مهمة كهذه تمس كرامة المسلمين وعزتهم، يعزب النظام الشاهنشاهي عن المساعدة وتقديم العون للدول الإسلامية ضد إسرائيل، إن لم يكن قد ساهم في تقوية إسرائيل ودعمها. إن الدول الإسلامية جمعاء قامت بمساندة ومعاضدة العرب المسلمين وقدمت لهم كافة المساعدات بينما تظاهر النظام الإيراني بالصمت وقدم المساعدة لإسرائيل سراً» وأضاف مشيراً إلى مسؤولية الشعب الإيراني اتجاه ذلك.

«على الشعب الإيراني مقارعة النظام وفضح جميع جرائمه، يجب على جيش إيران وعلى أصحاب النفوس المخلصة تعزيز إرادتهم وأنفسهم والسعي لغسل الذل والعار الذي لحقهم من النظام، يجب على الجميع إيجاد حل مُوحّد لنجاة البلاد ومنحها استقلالها المغتصب. مهمة الشعب الإيراني الآن هي الوقوف بوجه كل مصالح أميركا وإسرائيل في البلاد بل والتصدي لها وتدميرها مهما كلف الثمن، ولو بالتضحيات الفدائية، مهمة علماء الدين وأهل العلم

والخطباء إعلام الناس وإبلاغهم بخطر إسرائيل علينا.

مهمة الشعب الإيراني وعلماء الدين اليوم هي أكبر مما مضى، عليهم أن لا يصمتوا في هذه الفترة الحساسة، بل عليهم وبأية وسيلة ممكنة مضايقة الحكومة والشاه والضغط عليه من أجل أن يقف إلى جانب المسلمين ضد إسرائيل وإلاً فعليهم تعريته، وكشف فضائحه ومؤامراته كي يعرف العالم حقيقته الباطنة وسريرته الدنيئة.

على الشعب الإيراني وعلماء الدين معارضة نشاطات اليهود في إيران الذين يقدمون العون والمساعدة لإسرائيل بحماية من الشاه الخائن، وعليهم فتح صندوق تبرعات وجمع إعانات ومُؤن، لمساعدة إخوانهم المقاتلين المضحّين بأنفسهم وأرواحهم».

الفصل السابع:

فتاوى الإمام السياسية

فتوى حرمة الانتماء لحزب «رستاخيز» (البعث)

بعد أيام قلائل من إعلان الشاه عن حزبه المسمى «رستاخيز» استفتى بعض الرجال المؤمنين سماحة الإمام بأمر الانتماء إلى هذا الحزب وطلب وجهة نظره الشرعية حيال الانتماء الإجباري إليه، فأجاب الإمام قائلاً:

«نظراً لمخالفة الحزب العقيدة الإسلامية، وعدم وجود أي ارتباط بينه وبين الإسلام والوطن والأمة فإن الانتماء له محرّم ويعتبر مساندة للظلم واستئصالاً لشأفة المسلمين، كما أن الوقوف في وجهه هو من أبرز خطوات وأركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...».

ثم يتطرق الإمام إلى أسباب وعلل تكوين الحزب، فيقول:

«... إن الشاه أراد بخطوته هذه أن يعترف بفشل مشروعه المدعو «بثورة السادس من بهمن» وعدم مساندة الشعب له ودعمه. إنه سعى طيلة عشرة أعوام من أجل استقطاب أذهان الأمة والشعب نحوه باسم «الثورة» وباسم «ثورة الشاه والشعب» لكنه فشل فشلاً ذريعاً وعمد اليوم

إلى خطواته هذه من أجل فرض الدعم الجماهيري وكسب تأييدها له بالقوة وبحد السيف. وإذا كانت الثورة المدعوة «بثورة الشاه والشعب» هي ثورة لصالح الشعب والأمة فما الحاجة إذن إلى تأسيس مثل هذا الحزب الجديد؟».

وطالب الإمام في بيانه هذا كل علماء المسلمين والمراجع العظام بالإفتاء بحرمة الانتماء إلى هذا الحزب. ويصدر الإمام قدس سره تكليفاً للشعب فيقول:

«على جميع المجتمع وبالأخص خطبائنا المحترمين وطلبتنا المؤيدين بنصر الله وشبابنا الجامعي الواعي وسائر الطبقات من العلماء والفلاحين والتجار وغيرهم، عليهم مقاومة ومحاربة هذا الحزب والوقوف في وجهه. وليطمئنَّ الجميعُ بأن النظام في حالةِ انهيارٍ وسقوط وأن النصر لقريب بإذن الله تعالى.. وإنني أتمنى.. وأتشوق أن أكون بجانبكم وأنتم تجاهدون وتناضلون من أجل الدين والحفاظ على استقلال الوطن».

فتوى تحريم استخدام التاريخ الشاهنشاهي

بمناسبة مرور عيد ميلاد رضا خان صوَّت البرلمان سنة 1975م على تغيير التاريخ الهجري إلى التاريخ الشاهنشاهي وعُدِّل مبدأ التاريخ من يوم هجرة الرسول ﷺ إلى يوم تأسيس سلطنة كورش

مؤسس الشاهنشاهية والأمبراطورية الإيرانية.

وعند هذه الخطوة الجديدة أصدر الإمام بياناً معارضاً شديد اللهجة حرّم على الجميع استعمال هذا التقويم، جاء فيه:

«اليوم يريد الأعداء نهب ثرواتنا واستنزاف ذخائرنا دون أي رادع أو مانع. فأخذوا يضربون ويعزفون على وتيرة جديدة باسم تبديل التاريخ وتعديله. إنها لكارثة وجريمة عظمى تُقترف على أيدي هؤلاء الطغاة الخونة. لهذا يجب على جميع أفراد الأمة الإسلامية الوقوف في وجه هذه الخطوة الهدامة لأنها خطوة خطرة تعمل على تهديم الإسلام ومحوه، ولذا فإن العمل به محرّم شرعاً وغير جائز، إذ يُعدّ ذلك تأييداً ودعماً للظلم والظلمة».

الفصل الثامن:

الإمام يستصرخ الأمة للثورة على الشاه

بعد وفاة الدكتور علي شريعتي استلم الإمام عدة رسائل من الاتحادات الإسلامية للطلبة الإيرانيين في كل من أوروبا وأميركا وقد جاء ضمن جواب الإمام على إحدى البرقيات:

«إنني الآن أمضي الأيام الأخيرة من حياتي وأملي الكبير والوحيد هو بالشباب وبالطليعة المؤمنة بشقيّها الجامعي والديني داخل البلاد وخارجها».

ودعا الإمام هؤلاء إلى الوحدة تحت لواء الإسلام الذي أصبح لواء للتوحيد، وبشّرهم بالنصر القريب قائلاً:

«إني أبشر أبنائي الشباب الأعزاء بالنصر والنجاة من براثن أعداء البشرية وعملائهم المرتزقة».

وفي معرض تعليقه على الحرية السياسية النسبية التي سمح بها الشاه تحت الضغوط السياسية الداخلية والخارجية قال الإمام:

«الآن حيث أتيحت بعض الحريات تحت الضغوط والأوضاع الداخلية والخارجية، وبسبب ردود الفعل التي نتجت عن فضح جرائم

الشاه، يجب على كل المجامع العلمية والثقافية والرجال الوطنيين والطلبة داخل البلاد وخارجها استغلال الفرصة، وعليهم النهوض وإعلان رفضهم لحكومة الشاه العميلة التي ارتكبت أبشع الجرائم ضد أبناء شعبنا خلال الخمسين عاماً المنصرمة. كما وعليهم إيصال أصواتهم إلى كافة الأوساط الدولية ليفهم رئيس الولايات المتحدة بأن الشعوب الإسلامية تعتبره المحرك الأول والمبرمج الأول لكل ما يقوم به نظام الشاه من جرائم وانتهاكات وبخاصة ما قام به خلال السنوات الأخيرة.

إن دعم أميركا للشاه والخونة من أمثاله جعل المسلمين ينظرون إليها بأنها المتصدر الأول لقائمة الظلمة المجرمين. فالحكومة الأميركية دفعت هذه الشرذمة ليتسلطوا على رقاب الشعوب.. بل من أجل أن تسيطر هي بالذات على ثروات البلاد وعلى الملايين من المسلمين. وإذا لم يعد الرئيس الأميركي النظر في ذلك فإننا سنعتبره المحرك لكل ما يحدث والمسؤول عن تلك الجرائم. إن الاستخفاف بحقوق الملايين من المسلمين، وتسليط هؤلاء المجرمين على مقدراتهم ورقابهم وإفساح المجال أمام النظام اللاشرعي في إيران، بل وفي إسرائيل، لاغتصاب حقوقهم وسلب حرياتهم هي من الجرائم التي سوف لن يتحمل مسؤوليتها إلاّ المسؤولون الأميركيون وننصح رئاسة الإدارة الأميركية الحالية باجتناب طريق الأسلاف وندعوهم إلى

العودة إلى الرشد والصواب، وإعادة الحسابات من جديد».

وتابع قوله:

«نحن ننتظر لنرى الحكومة الأميركية هل ترجّح شرفها وشرف شعبها وكرامته، أم ترجح مصالحها المادية فتقوم بنهب الشعوب الضعيفة والشريفة؟ أم أنها ستحاول استعادة سمعتها وتسحب دعمها وتكف عن تأييدها لهؤلاء المجرمين؟».

وفي ظل هذه الأجواء التي سمحت بظهور بعض الحركات السياسية والدينية كان الإمام يراقب كل أبعاد الأوضاع السياسية في إيران. وكشف بأن الهدف من وراء ذلك كله هو إظهار صورة تبرّىء الشاه. من هنا أصدر الإمام بياناً حذر فيه الشعب من هذه المؤامرة الجديدة، فقال:

«إذن أرى من واجبي أن أنقذ الشعب من الخطر الكبير الذي يهدد وجوده فإن ما تبديه الدولة والحكومة حالياً من تسامح مع الكتاب والخطباء وغيرهم ما هو إلا حيلة لتطهير سمعة الشاه وإبعاده عن جميع الملمات إضافة للادعاء بوجود الحرية، ولنُحمّل رجال الحكومة مسؤولية كل تلك الجرائم؛ في حين أن الدولة ما هي إلاً ألعوبة بيد الشاه. والكتّاب حالياً ليس بمقدورهم توجيه التهم إلى النواة المركزية. وأعني شخص الشاه بالتحديد. في هذاالوضع الراهن ولا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء الكتاب عناصر مدسوسة، فتتظاهر بمهاجمة

الدولة، وتفضح بعض الجرائم لكي تبعد الشعب عن هدفه الرئيسي وغايته الأساسية، ولكي تضلل السذّج والبسطاء في حين أن كل ما عاناه هذا الشعب خلال الخمسين عاماً المنصرمة هو من صنع يد ذلك السلف وهذا الخلف.

والآن يسعون لتطهير هذا الشخص كي يستمر في طغيانه وجرائمه. إن هؤلاء يريدون بأسلوبهم هذا استقطاب أذهان الشعب في حين أن الشعب بمختلف طبقاته قد استيقظ ووعى كل شيء، ومن المستحيل أن يرضخ لهذه السلطة الجائرة الغاشمة ولا ليوم واحد».

وحرّض المناضلين على دراسة الماضي واستيعاب تجاربه والسعي إلى تنظيم السياسيين المسلمين وتعبئتهم وجمعهم تحت لواء الإسلام وأهدافه المجيدة والسامية فقال:

«على جميع المسلمين وبخاصة العلماء المفكرين وطلبة العلم أن ينهضوا للدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه والحفاظ على دستوره. القرآن. السامي الوضّاء الذي هو ضمان استقلالنا وحريتنا، وعليهم إنقاذ وطنهم الذي كان مهد الحرية والأحرار، وأن يوصلوا أصواتهم إلى كل الأوساط الدولية والإنسانية. وعلى جميع قطاعات الجيش وقادته وزعمائه أن يحرروا أنفسهم من عبودية الطاغوت والأجانب وأن يسعوا جادين لإنقاذ وطنهم من الدمار والانهيار.

وأذكركم أخيراً بنقطة هامة وهي فقط الإسرار، والتقيد بالكتمان

وعدم ذكر الأسماء والرموز المهمة، وعليكم استيعاب تجارب الماضي، وأوصيكم بالالتزام الجاد ضمن إطار تعاليم الدين القويم، واحترزوا من توظيف بعض الذين لا تتوافق أعمالهم وخطواتهم مع هذا الانهيار مائة بالمائة». وإذا انتقلنا إلى جانب آخر نرى أن الصحوة الإسلامية أوجدت حاجة ماسة إلى الفكر الإسلامي والعقائد وبالأخص عند الشباب المتحمس، وفي هذه الظروف تم طبع ونشر العديد من مؤلفات الدكتور علي شريعتي. وكان بعض الأشخاص يوجهون انتقادات حادة لآرائه في الكثير من المسائل الدينية والعقائدية، والنظام قام بمحاولات لاستغلال هذا التعارض الفكري.

لم يكن الإمام بعيداً عن كل هذه الأجواء بل كان يراقبها عن كثب، وعندما تطور الموقف رأى الإمام أنه من الضروري حسم الموقف فقام بنشر بياناته وخطاباته مطالباً القوى الثورية بالاستمرار في النضال والكفاح والحفاظ على صبغة الإسلام السياسية والاجتماعية. كما قام أيضاً بتحليل المسائل التي وقع الاختلاف فيها.

قائلاً:

«إنه ليس من حق أحد أن يجعل العلم حكراً له ولأفكاره ورغباته، ويعمد إلى تفنيد وإبطال نظريات وآراء الآخرين، لأن كل ما يقولون وما يدّعون جُلّه موجود في قوانين ونظام الإسلام وأحكامه. والإسلام ليس حكراً على جماعة، أو شيئاً منحصراً لفرقة من الفرق. فالإسلام

يصنع من الفرد إنساناً عادلاً وخلوقاً.. وفي كل الحالات فإن الإسلام يحوي كل هذه المعاني والقيم ويجمع بين الجوانب المادية والمعنوية الغيبية والظاهرية لأن الإنسان متصل بكل هذه الجوانب».

استشهاد نجل الإمام وانفجار بركان الثورة الإسلامية

في 23 أيلول 1977م توفي الأجل نجل الإمام السيد مصطفى بشكل مفاجيء وغلب الظن أنها عملية اغتيال وكان جلّ اعتماد الإمام عليه حيث كان عضده الأيمن منذ بداية النهضة عام 1962م وكان للسيد مصطفى ارتباط وثيق مع علماء الدين والمفكرين والجامعيين في الداخل والخارج. ولهذا عمل السافاك على قتله.

وفيما قاله الإمام إثر هذه الحادثة:

«عندما نكون مصابين بكوارث ومصائب أعظم وأكبر، علينا أن ننسى ونترك مصائبنا الخاصة والطفيفة» واعتبر شهادة ولده **«بأنه لطف من ألطاف الله الخفيّة[1]».**

ومع انتشار خبر استشهاد السيد مصطفى شهدت طهران عدة مجالس تأبينية إكراماً وإجلالاً لروح الشهيد وعقد في 29 أيلول مجلس تأبيني ضخم وجليل بمناسبة مرور سبعة أيام على حادثة استشهاد السيد مصطفى غص المسجد الجامع (أرك) بالجماهير وكانت المجالس التأبينية في اليوم السابع ويوم الأربعين من شهادة

السيد مصطفى عاملاً مساعداً لتعريف الجماهير من جديد بشخصية الإمام وأفكاره أكثر فأكثر، وبتاريخه الجهادي وأسباب نفيه وإبعاده عن الوطن، إضافة إلى أفكاره ونظرياته الثورية. وقام الإمام بإرسال بيان شكر فيه كافة أفراد الشعب الإيراني وأكد قائلاً:

«إن هذه التظاهرة العظيمة والمهيبة في هذا الظرف لهي أكبر رد على تصريحات الشاه المغلوطة، ذلك الإنسان الذي باع شرفه وعزة بلدنا، واستقلال وطننا، واقتصاد شعبنا، وسحق كل حقوق هذا الشعب تحت أقدامه، وجعلها ضحية لأهواء ومشتهيات عائلته الغاصبة. إن هذه التظاهرات لم تكن لفرد معين، بل كانت إعلان نفور عام من النظام الجائر الظالم ومن حكومته الخائنة».

وجاء في رسالة جوابية أخرى أرسلها الإمام إلى خارج البلاد، عبارات تزف البشرى والوعود بالنصر القريب منبهاً إلى ضرورة استمرار الجهاد وقال:

«إن لي وطيد الأمل بهذه الصحوة التي عمّت البلدان الإسلامية وخاصة إيران، وبهذا النفور العام من أنظمة الجور والقمع والإرهاب والاستعمار. إن هذه الصحوة ليست فورة مؤقتة بل إنها ستستمر للقضاء على أنظمة الجور والطغيان. إن ظلم الأنظمة وحرمان الشعوب الفقيرة، لهو بمثابة قنبلة ستنفجر وتقتلع كافة الأنظمة العميلة، وحينها سينتقم الله من القوم الظالمين».

ثم أشار الإمام في ختام رسالته إلى وجوب استغلال الفرص، وحذّر من كافة الأفراد الطفيليين والاستغلاليين بقوله:

«والآن حيث أتيحت لنا فرصة مؤقتة، علينا أن نتصرف بذكاء وفطنة وحكمة وعلى الجماعات الإسلامية أن تتحد وألا تفسح المجال لهؤلاء الاستغلاليين الذين لم يقدموا أي شيء للشعب الإيراني الشريف، إذ أنهم الآن استعدوا لاستغلالها ليدسوا أنفسهم بين صفوف الجماهير التي جاهدت، وكابدت، وضحّت من أجل أن يصلوا إلى منصب من المناصب.. فإذا وصل هؤلاء إلى الحكم لا قدر الله؛ فإن كل تلك المصائب والويلات والخيانات سوف تعود وتتكرر، إن هؤلاء يريدون أن يتغلغلوا بين صفوف الجماهير عبر عدة مقالات واهية لا شيء فيها من الإسلام والعقيدة ولا ذكر فيها عن مسبّب الفساد الأول!! وإن هذه المقالات التي كتبها هؤلاء، إن لم تكن موجهة من قبل جهاز الأمن لإنقاذ السلطة وحفظها، فمما لا شك فيه أنها خالية من أي نفع ودعم لأسس الدين الإسلامي القويم الذي هو ضمان الاستقلال والحرية والعدالة الاجتماعية».

وطالب الشعب بعدم إفساح المجال لهم قائلاً:

«في تلك الظروف التي كان شعبنا المسلم وبمختلف طبقاته يرزح تحت ظلم عملاء الاستعمار، وفي اليوم الذي حدثت فيه مجزرة الخامس من حزيران، وفي الوقت الذي كانت السجون غاصة بالمدافعين

الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن الإسلام، وفي اليوم الذي أعادوا فيه التاريخ الإسلامي إلى تاريخ رجعي ملكي مجوسي، وفي الوقت الذي كان فيه حزب رستاخيز يشن هجماته على الشعب وينهب ثرواته، وفي حين فتح النظام أكبر سوق لأسياده في البلاد تحت «اسم الثورة» البيضاء، ويدّد بذلك مصالح البلاد والزراعة والصناعة، وفي ذلك الوقت الذي ارتكبت فيه أبشع الجرائم ضد الشعب، لم يتفوه هؤلاء بكلمة معارضة واحدة ولم تصدر عنهم أية حركة!! في الوقت الذي كان شبابنا من الطلبة الجامعيين وطلبة العلوم الدينية يدافعون عن عقيدتهم ومبادئهم لنيل شرف الحرية. والآن أتى هؤلاء يطمعون بالنفع والوصول إلى أهدافهم إما من قبل الشاه أو من قبل الشعب، لأنهم صرفوا الأنظار وأبعدوا التهم عن الأول (الشاه)، وشاركوا ظاهرياً مع الثاني (الشعب) بغية التسلق إلى مدارج الحكم لاستلام زمام الأمور وتحقيق مآربهم. فعلى شعب إيران إذن اتخاذ جانب الحيطة والحذر وأن يسعى جاداً لإفشال وإحباط كافة خططهم».

وتزامنت هذه الرسالة مع سفر الشاه «لأميركا» للقاء «بكارتر» وتجديد البيعة له. لهذا أكد الإمام في ختام خطابه على أنّ كل تلك المحاولات سوف لن تؤثر على مسيرة ثورة الشعب الإيراني، قائلاً:

«على الشاه وزمرته أن يعلموا، أن محاولاتهم في تجديد الانصياع والعبودية لرئاسة الولايات المتحدة، وسواء أنجحت أم لم تنجح، فإن

شعب إيران يرفضه وهو مستمر في ثورته حتى يأخذ بثأر الشباب الذين قضوا أو ضُرجوا بدمائهم، وينقذ الإسلام والدين من يد هؤلاء المجرمين».

وفي الأول من تشرين الثاني صادفت مناسبة ذكرى أربعين استشهاد نجل الإمام، فأكد الإمام ثانية على ضرورة انتهاز الفرص السياسية والحذر من احتمال رجوع الأوضاع إلى ما كانت عليه في الماضي:

«لقد أصبح الوضع في إيران منفرجاً قليلاً.. فأرجو من جميع الأخوة وأبناء الشعب اغتنام الفرصة وإعلان رفضهم. للواقع المزري. بجميع الوسائل الممكنة، وإيصال أصواتهم إلى كل أرجاء العالم، ليعلنوا عن جرائم هذا النظام بحق شعبه.. إنني أخشى من إضاعة هذه الفرصة الثمينة لا قدر الله، فإذا ما تثبتت أقدام هذا الرجل قليلاً فإنه سيقود الشعب إلى سوء العذاب ويحله دار البوار، وسيبدأ بالعلماء ورجال الدين أولاً. فإن مرتزقة الشاه الآن منهمكون في التخطيط لكل ذلك. هؤلاء يسعون من أجل ترسيخ الانقياد والانصياع لأميركا ويسعون جادين لإلحاق أقسى الضربات بالإسلام ومعتقداته..».

وأكد على اتحاد الطلبة وعلماء الدين وبيّن لهم الأخطاء، ونقاط الضعف، فقال:

«إن كل هؤلاء الذين يخدمون الإسلام من علماء دين ومن سياسيين

ومفكرين، وغيرهم هم أحبائي وأشقائي وخلصائي، بيد أنني أوجه إليهم العتاب لأني أرى أن هناك نوعاً من التقصير في كتاباتهم في مواضيع الفقه الإسلامي، وإني أعلم أن هدفهم الأول والأخير هو خدمة الدين والإسلام وليست لهم أية نوايا سيئة في ذلك، لكنهم ما زالوا قليلي الاطلاع والمعرفة..».

ثم تطرق إلى السؤال الذي طرحه الدكتور علي شريعتي والذي يستفسر فيه عن سبب تقرب العلماء الكبار أمثال خواجه نصير الدين الطوسي والعلامة المجلسي وأمثالهم من سلاطين وملوك زمانهم، فأجاب قائلاً:

«... إن هؤلاء قد ضحوا بأنفسهم واتصلوا بالسلاطين رغم مخالفة الناس. لكنهم اتصلوا بالملوك من أجل ترويج دين الله الحق.. والحفاظ عليه. ولم يكن هؤلاء وعاظاً للسلاطين، بل كانت لهم أهدافٌ دينية وسياسية جليلة.

ولا يمكننا أن نحكم على هؤلاء من أمثال العلامة المجلسي والمحقق الثاني والشيخ البهائي رضوان الله عليهم بأنهم اتصلوا بالملوك لغرض الجاه والمال في حين أن اتصالهم كان من أجل ترويج المذهب..».

واعتبر وجود العلماء هو الشرط الوحيد للنصر السياسي، إذ قال:

«... لا تتخيلوا بأننا نريد إسلاماً دون علماء دين، وهل يمكن أن يكون الإسلام بدون علماء مفكرين؟ وهل تستطيعون أن تقوموا بأي

شيء دون الرجوع إلى العلماء؟ إن هؤلاء هم الذين يتقدمون الصفوف الأمامية ويعرضون أنفسهم للسجون والدمار والقتل والإبادة. أرجوا من الأخوة المفكرين ألا يعزلوا أنفسهم عن الشعب بقولهم إننا نريد الإسلام دون علماء دين. فهذا خلاف للعقل والسياسة.

يجب عليكم الاتحاد معهم وحاولوا تصحيح الأخطاء على كل الأصعدة وبالأخص السياسية التي ترونها ببصيرة نافذة وفاعلة، فإنكم لا تستطيعون أن تستغنوا عن هؤلاء. فعلماء الدين لهم مكانتهم ودورهم ونفوذهم في قلوب الجماهير والأوساط الاجتماعية.

ووصيتي الأخيرة هي إلى إخوتي من علماء الدين. فعليهم الحذر والحيطة وألاّ يتأثروا بالإعلام الذي تريده أجهزة الأمن والمخابرات، وألاً ينساقوا خلف هذا الإعلام الذي يجعل من ذرة الرمل جبلاً ومن الجبل ذرة رمل. وأوصيهم بألاً يغفلوا عن السبب الرئيسي لمعاناتنا ومآسينا ألا وهو الشاه الخائن. كما أوصيهم بعدم الانجراف في محاولات النظام التي تسعى لبث الفرقة، وقمع الشخصيات العلمية، وإلقاء الشُبَهات حولهم، وبث الدعايات بشأنهم وأن يهتموا بقضايا الإسلام السياسية والاجتماعية وترك لغو الحديث».

ثم توجه بالقول إلى المفكرين الواعين ودعاهم إلى تصحيح نهجهم في الانتقاد فأوضح قائلاً:

«... إن هؤلاء المفكرين الواعين الذين يعملون بدأب، ويجهدون

أنفسهم من أجل الإسلام، ويؤلفون ويكتبون، عليهم تصحيح أخطائهم، فنحن اليوم بحاجة إليهم وإلى جميع ذوي الكفاءات والقدرات. وعلى أصحاب القلم ترويج أفكار المذهب الجعفري واجتناب الأخطاء. إذ لا يصح أن يقوم البعض بطرد هؤلاء الجامعيين والمفكرين بحجة بعض الأخطاء التي يمكن تداركها وتصحيحها. وإنني أدعوكم لتقديم النصائح إلى هؤلاء وعدم اللجوء إلى طردهم لأنهم تحملوا الكثير من أجل حرية وطنهم وتحقيق كرامته.

سادتي الأعزاء.. إني أدعوكم إلى ترك تبادل التهم والألفاظ المنحطة، وأدعوكم إلى التضامن والتلاحم والوحدة».

إن خطاب الإمام هذا، والذي انتشر بسرعة فائقة عبر البيانات والأشرطة، كان له الأثر العميق في النفوس، فأفسد كل خطط ومؤامرات النظام التي تسعى لبث الفرقة، وزرع الخلاف بين صفوف الثائرين.

الفصل التاسع:

توجيهات الإمام الثورية ومواجهة الشاه لها

إن انتشار البيانات الثورية وأشرطة الإمامقدس سره واتساع دائرة الثورة أدى إلى قلق الشاه وغضبه في آن واحد، مما دعاه إلى توجيه الإهانة إلى الإمام، وذلك عبر مقال صحفي نشر في صحيفة «اطلاعات» كتبه أحد الصحفيين بأمر منه. وأدى هذا المقال إلى اضطراب الجماهير في مدينة قم، ففي هذا اليوم توجهت جموع غفيرة من الطلبة وعلماء الدين وأهل العلم والكسبة والتجار إلى بيوت المراجع وطلبوا منهم الرد على تلك الإهانة. ومع أن التظاهرات كانت هادئة جداً إلا أن فرق المكافحة والشرطة قامت بإطلاق النار على المتظاهرين وجرحت وقتلت الكثير منهم مما أدى إلى غضب الجماهير والهجوم على تلك الفرق بالحجارة والعصي.

وعجزت المشافي والمصحات عن استقبال العدد الهائل من القتلى والجرحى. وبلغ الأمر بمرتزقة الشاه إلى درجة أنهم طلبوا من عوائل الشهداء دفع مبلغ 500 تومان ثمناً لكل رصاصة لقاء استلام جثث أبنائهم. وعلى إثر هذه الجريمة واستنكاراً لها أضرب بازار قم الكبير

عن العمل لمدة 11 شهر ولم يفتح حتى يوماً واحداً خلال هذه الفترة.

وبعد أيام من مجزرة قم أصدر الإمام بياناً أعرب فيه عن تألمه الشديد وأسفه البالغ لما وقع في قم، فقال:

«إنني حائر لمن أنعي هذه الفاجعة؟ هل أعزي الرسول الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والإمام المنتظر عجل الله قدومه؟ أم أعزي الأمة الإسلامية وكافة المسلمين والمستضعفين في العالم...؟ أم أعزي شعب إيران المظلوم الذي أفجع بهذا الحادث؟ أم الحوزات والعلماء أم أبناء قم الغيارى؟.

علينا أن نشكر شعب إيران لأنه شعب واع وصامد أمام الظلم، مع كل ما يواجهه من قتل وتعذيب واضطهاد. ومما لا شك فيه أن جهاد وصمود هذا الشعب سيتوج بالنصر والنجاح إن شاء الله».

«وإن كل ما يحدث في هذا البلد هو بعلم الشاه وبتدبير منه وهو الذي أصدر الأوامر».

وجاء في خطاب آخر وجهه إلى شعب إيران الغيور قائلاً:

«إن الثورة هذه هي من بركات وآثار انتفاضة الخامس من حزيران المجيدة».

واعتبر الإمام قيام الشاه بهذه الجريمة النكراء إنما ينتج عن عجزه، وبالتالي وعد الشعب الإيراني بالنصر القريب:

«أُبشّرُ الشعب الإيراني بأن النظام الآن يلفظ أنفاسه الأخيرة. وأن

هذه المجازر ما هي إلاّ دليل على عجزه وخوفه وهلعه من أمتنا المجيدة، الأمة التي خرجت نساؤها لتعلن معارضتها للنظام الجائر، الأمة التي تفتخر نساؤها بتقديم أبنائهن شهداء في طريق الثورة، الأمة التي أرهبت الشاه وكارتر والبيت الأبيض وأخافتهم بصمود أبنائها الأبطال. تلك أمة عمادها القرآن، ودستورها القرآن، وثورتها من أجل إحقاق الحق ونشر العدالة الإلهية ورفع وإنهاء عصر الظلم والجور...».

ودعا الإمام في ختام خطابه إلى الشعب، إلى الوحدة ورص الصفوف، وخاطب الأحزاب والتكتلات السياسية التي ما زالت تعمل ضمن إطار الدستور قائلاً:

«إن العمل في إطار القانون والدستور هو اعتراف ضمني بنظام الشاه الفاسد. وإنني لأدعو هؤلاء إلى العمل لإسقاط النظام الذي انعدمت في ظله السعادة والحرية والاستقلال».

وفي محاولة لإبعاد الشباب الإيراني عن ساحة الصراع ولإشغاله بأمور تافهة اقترح رئيس الوزراء تأسيس وزارة للشباب وقال: «علينا أن نثقف الشباب لكي لا تغويهم أكاذيب الآخرين».

كشف الإمام هذه المؤامرة الجديدة فوجّه خطاباً هاماً إلى الاتحادات الإسلامية للطلبة الإيرانيين في أوروبا وأميركا ودعاهم إلى إفشال مؤامرات الشاه وذلك عبر الاتحاد والتعاون، وقال:

«على كل طلبتنا الجامعيين والدينيين أن يتحدوا ويتبادلوا

الاحترام والثقة.. فالروحانية رصيد كبير لا يدوم الإسلام من دونها، ولهذا يسعى الاستعمار والخونة لتحطيم هذا السور المنيع. وقد أدى إعلامه المغرض هذا إلى فصل بعض المفكرين عن علماء الدين وإساءة الظن بهم. في حين أنهم هم الذين يدعون الشعب إلى الوقوف والصمود في وجه الاستعمار وتحديه، ولهذا فعلينا احترامهم وتقديرهم. كما يجب على علماء الدين احترام الطبقة الشابة والمثقفة والمفكرة التي تخدم الإسلام والمسلمين. وأرجو من الجميع أن لا يتأثروا بالإعلام المغرض المعادي والمضاد، والاحتراز من التفرقة، وعليهم طرد كافة المغرضين الساعين إلى إيجاد الفرقة. وليعلموا أن النصر يكمن في اتحاد الطلبة بأجمعهم، بشقيهم الديني والجامعي. واجعلوا هدفكم الأول، الإسلام وشريعته العادلة الحقة. وعليكم أن تسعوا لإقرار الحكومة الإسلامية تحت قيادة حاكم إسلامي عادل، وإلى جانب ذلك تسعون إلى إسقاط نظام بهلوي المنحطّ. فالتولي والتبري هما من فروع الإسلام الأساسية، وهذا هو طريق النصر والاستقلال والحرية».

ودعا كافة الأحزاب السياسية والكتاب والخطباء والوعاظ إلى الابتعاد عن طرح الأفكار المنحرفة والهدامة التي تؤدي إلى تعزيز موقف الشاه ودعمه، وقال:

«عليكم اجتناب كل الآراء والأفكار التي تؤدي إلى تعزيز موقف

الشاه وتأييده، كالعمل في إطار الدستور. وعلى الصحف أن تتكلم بصراحة وتجتنب الكناية والاستعارة والتورية وعليها فضح الشاه، فهو السبب الرئيسي للظلم والاستبداد. وأن لا نحمّل مسؤولية كل هذه المآسي لرجال الدولة مسلوبي الإرادة».

وطالب الإمام الطلبة الجامعيين ببث الدعوة للإسلام والالتزام بأحكامه وأن يحترزوا من التعاون مع كل من لا يلتزم بها. قائلاً:

«لا تظنوا بأن العدد هو عامل مهم للنصر ومن ثم يبقى لكم العامل الزمني لتصفية غير المرغوب فيهم. يجب أن تعلموا أن الجامعات اللاإسلامية أو غير الملتزمة بأحكام الشريعة سوف تتعرض لتغيير الأهواء وسيغدرون بكم في أول فرصة وسيتسببون في إسقاطكم والإطاحة بكم قبل الوصول إلى الهدف. إذن أدعوكم إلى الاعتبار بتجارب الماضي، فإن الإعلام المضلل الذي تقوم به الشيوعية الدولية لا يهدف إلى شيء سوى تضليل المستضعفين واستغلالهم».

حادثة 18 شباط في تبريز (29 بهمن)

استمر غليان الشعب نتيجة ممارسات القمع والإرهاب وأطلت ذكرى الأربعين لشهداء مجزرة قم الدامية وتوجه أبناء مدينة «تبريز» لإحياء المناسبة إلى مسجد الحاج ميرزا يوسف، لكنهم وجدوا أبوابه مغلقة وقوات الشرطة متمركزة في كل مكان من أطراف المسجد. من

هنا انفجر غضب الجماهير واشتبكوا مع الشرطة وأدى الاشتباك إلى مصرع العديد من الأبرياء والعزّل.

وانطلقت من هنا الانتفاضة العارمة، فلقد حَمَلَ الشعب جثث الشهداء والقتلى وطافوا في شوارع المدينة وهم يصرخون «الموت للشاه». ولكن بعد ساعات تدخل الجيش بكافة معداته وسيطر على المدينة بعد أن ارتكب أعظم وأكبر مجزرة بحق الشعب المظلوم.

وبعد مضي ثمانية أيام على المجزرة الدامية، وجه الإمام بياناً إلى أبناء مدينة تبريز حيا فيه مشاعرهم وعواطفهم الجياشة، حيث قال فيه:

«سلاماً أيا أبناء أذربيجان الأعزاء. فليعش رجال تبريز الأبطال وليعش شبابها الغيارى. وليعش أبطالنا الذين وقفوا أمام النظام الجائر، إذ نادوا «الموت للشاه» فقضوا بخطواتهم هذه على كل ما يدعيه النظام من ادعاءات وافتراءات كاذبة، فلتعش جحافلنا المجاهدة والمستبسلة من أبناء تبريز لوقوفهم أمام الطغيان ودحض افتراءات المفترين».

أربعينيات متتالية والثورة مستمرة

في حلول ذكرى أربعين شهداء تبريز، وجّه الإمام بياناً إلى الشعب الإيراني يوم 24 اذار 1978م، جاء في مطلعه ما يلي:

«ذكرى أربعين شهداء تبريز أعادت علينا المآسي والآلام من جديد. لقد جرى القضاء على شعب إيران بأن يرفع أعلام السواد والحداد بين الحين والآخر إزاء ما يصيب شبابه من قتل واغتيال واعتداء، فعيوننا دامعة وقلوبنا حرى إثر كل فاجعة تمر علينا ولقد اعتادت أيدي الغادرين والخونة وأيدي الأجانب والأميركيين على التعرض لأبناء شعبنا مرة بعد أخرى. ولا أعلم هل سيستمر هذا الجور والطغيان وهل سنبقى على أبواب أربعينيات أخرى لشهداء وضحايا آخرين؟».

ثم تطرق إلى دور وأهمية انتفاضة تبريز قائلاً:

«.. إن مجزرة تبريز خلّفت حماساً وثورة عند أبناء الشعب تكاد تشرف على الانفجار، ذلك الانفجار الذي سيقطع دابر الأجانب والمستعمرين بإذنه تعالى. الانفجار الذي سينتقم من الشاه وأذنابه؛ لما سُفك من دماء، ولما ديست من كرامات، ولسوف يمحو ذلك أسرة بهلوي من تاريخ إيران وينهي جرائمها».

ونبّه إلى أن الشاه استخدم عبارات واصطلاحات مثل: «الإسلاميون الشيوعيون» ويريد بذلك إخماد جذوة الثورة وشق الصفوف فقال:

«يجب على كافة الأحزاب والكتل السياسية وسائر المثقفين والمفكرين إعلام أبناء شعبنا بصراحة تامة وتنبيه شبابنا إلى أن ثورتنا هي إسلامية محضة وهدفها تحقيق العدالة التي رسمها لنا القرآن المجيد، وعليهم رص الصفوف والاتحاد مع العمّال وعلماء الدين،

والكتل الجماهيرية، كي تذهب كل محاولات الشاه أدراج الرياح».

لكن في مقابل ذلك كان السيد شريعتمداري يصدر بياناً ناشد فيه الجماهير الالتزام بالهدوء وضبط النفس أثناء مشاركتهم بمراسم الأربعين. وعلى أثر إحياء مراسم أربعين شهداء انتفاضة تبريز وقعت في 30 آذار مجزرة أخرى في «يزد».

ومع اقتراب ذكرى أربعين شهداء مجزرة يزد أرسل الإمام في 29 نيسان بياناً إلى الشعب الإيراني حيا فيه أهالي يزد الأبطال وسائر المدن التي أحيت مراسم أربعين شهداء انتفاضة تبريز بدمائها، ومما جاء فيه:

«يا أهالي يزد يا من انتفضتم وصرختم في وجه النظام ورفعتم شعار «الموت للشاه»: إن الشاه وزمرته تدعي بأنكم شرذمة عبرت الحدود من خارج البلاد ودخلت إيران بصورة غير شرعية!.. نحن أمام نظام هذا هو منطقه.. بإذن الله تعالى سوف لن نتراجع ولن نتقهقر وسنقف صامدين مناضلين حتى نسقط النظام الشاهنشاهي ونعلن عن قيام حكومة العدل الإلهي، سوف نناضل إلى أن يتبدل النظام الديكتاتوري الدموي بنظام ديمقراطي حقيقي.. إن النظام الآن يعيش حالة قصوى من الذعر والقلق، ولهذا عمد اليوم إلى إجراءات قمعية واسعة في أكثر المدن وأخذ يهاجم الأحرار ويطاردهم أين ما كانوا في السهول والوديان والجبال، إضافة إلى فرضه الضرائب المعجزة على

التجار والكسبة الذين شاركوا في الإضراب العام، لقد سلبت اليوم حرية الشعب الإيراني فلم يعد قادراً حتى على التنفس».

ودعا الشعب وجميع الكتل الجماهيرية إلى فضح جرائم الشاه، وأكد لهم بأن الحرية سوف لن تخيم على البلاد إلا بزوال هذا الطاغية الخائن:

«الآن ومن أجل الوصول إلى هدفنا الإنساني والإسلامي المتعالي، يجب على كافة القطاعات والأفراد توحيد صفوفهم وتنظيم أمورهم ودراسة الظروف زمانياً ومكانياً ومن ثم العمل الدؤوب والجهاد المقدس، وعليكم اجتناب كل التحركات والإجراءات التي قد تؤدي إلى تقوية أسس النظام الجائر وحكومته الظالمة، إذ بذلك سوف تذهب دماء شهدائنا هدراً لا سمح الله، واجعلوا كل هتافاتكم وصراخاتكم ضد شخص الشاه بنفسه فإنه المسبب الوحيد لكل ما جرى ويجري وأعلنوا للأمة كافة وللعالم أجمع ثورتكم ضد انتهاكاته وجرائمه وتعدياته. على كبار المجاهدين الثوريين. مراقبة الجماهير وإرشادها إلى متابعة مسيرتها التي روتها بدمائها، وعليهم ألاً يلقوا الجماهير في الشبهات والانحرافات في هذا الظرف العصيب.. إن من ذاق مرارة الألم طيلة الخمسين عاماً الماضية.. ليعلَم: بأن الحرية سوف لن يكون لها أي مصداقية ولا أي مفهوم إلا بإسقاط الشاه والقضاء على نظامه المتجبر، فهو العدو اللدود للأمة وللجماهير وللوطن، وكل من تصور أو

يتصور بأن الحرية قد تعود إلى أجواء إيران في ظل هذا النظام الجائر فهو تصور خاطىء وموهوم».

ومع تفاعل نشاط الثورة وتصاعدها وبلوغها مراحل متقدمة أخذ الإمام يطرح أفكاره التنظيمية وتعليماته القيادية من أجل رص الصفوف والوحدة، ويؤكد هذا بقوله:

«... الآن تعيش إيران غليان الثورة.. يجب علينا العمل والتنظيم يجب تعزيز الاتصالات بين حوزات قم وطهران وكافة المحافظات.. هذه الثورة يجب أن تسير وفق نظام وخطة موحدة فإذا أعلن عن موقف في قم يجب أن تكون كافة المحافظات على علم بها لتنحو منحاه..»

ويشير الإمام إلى مخلفات التشتت وعدم التنظيم ويذكر الجماهير بأحداث عام 1962، 1963م ويحللها من وجهة نظره وخبرته الطويلة:

«لقد سعيت إلى فرض منهج موحد وعمل تنظيمي سابقاً في قم لكن البعض حال دون ذلك (وأسأل الله هدايتهم).. طرحت فكرة الوحدة والانسجام، لتشهد إيران اعتصاماً في يوم واحد وآن واحد وتشهد اجتماعاً واحداً وتكتلاً واحداً في يوم واحد وآن واحد.. كاجتماع رجال الدين والعلماء.. إنه تنظيم وتنسيق.. لكنهم عارضوا وخالفوا، لأنهم لا يعقلون».

وتطرق إلى وضع البلاد سياسياً وموقع الشاه في المرحلة الراهنة مشيراً بقوله:

«إن ما حدث ويحدث هو ثورات وتظاهرات.. أساسها الشاه نفسه.. إذن المذنب أنت (أيها الشاه) وفات الأوان لتلافي الذنوب.. الشعب لا يقبل أي عذر وتوبة منك.. إن توبتك الوحيدة هي الموت!».

«اضمحلال عائلة بهلوي وسقوطها في الهوة ليس شيئاً صعباً.. إن الشعب كان يراها ساقطة ومنحطة منذ خمسين عاماً. الآن انفجر الوضع وانتفضت ثلاثون مدينة ضد هذا الرجل ونادت: «الموت للشاه».

«لا تتصوروا بأنه إذا هوى وتحطم فسوف يذوب كل شيء. فعلى العكس كل شيء سوف يكون في مكانه وباتجاه هدفه، ما لم تطهر إيران من كل مخلفاته وآثاره..».

بعد ذلك أبدى الإمام امتنانه وقدم شكره وأثنى على كافة الكتاب والخطباء الذين جاهدوا وناضلوا وفضحوا جرائم الشاه وانتهاكاته، ومما جاء في خطابه أيضاً:

«الآن وفي هذا الوقت العصيب ومع وجود الخطر، لدينا الكثير من الفضلاء والمدرسين في الحوزة العلمية في قم يحررون وينشرون كافة الانتهاكات والجرائم.. وكذلك.. لدينا فرق حزبية وسياسية.. تكتب وتنشر وتعلن بجرأة وشهامة في حين أنهم يتعرضون لشتى أنواع الإهانات والأخطار».

«يوجد بين أفراد هذه الأجنحة السياسية أحياناً بعض الرموز العميلة تهدف من خلال بياناتها وكتاباتها إلى تبرئة الشاه من كل ما

حدث ويحدث وتنسبه إلى آخرين أدنى مستوى، كالحكومة مثلاً. ويتمنى النظام أن يكتب هؤلاء مثل هذه الكتابات ويتهموا الحكومة وكبار المسؤولين دون المساس بالشاه، يتمنون عدم توجيه اتهاماتهم لصاحب الجلالة، المجرم الأول والمسبب الأول..».

ويرد الإمام على ما يُدعى بالمفاوضة بكل أنواعها وأنماطها ويطالب الجماهير بطرد الشاه إلى خارج البلاد ويقول:

«إن أمة الإسلام وأمة إيران لم ولن تتفاوض مع هذا الرجل مطلقاً. كل من ينادي بالمفاوضة هو خائن وعميل. وإن ما نادت به بعض الأحزاب فيما يتعلق بتطبيق الدستور ما هو في الحقيقة إلاّ دعوة لتثبيت أقدام الشاه، وهذه هي الخيانة بحد ذاتها. يجب على دعاة تطبيق الدستور أن يعيدوا النظر بقوانينه التي فرضت بحد السلاح والقوة.. وكما قال أحد كبار السياسيين إن الإيرانيين أمام طريقين اثنين: إما الحرية وإما هذا (الشاه).. ولأن الشعب سوف يختار الحرية فسوف يطرد هذا بعون الله تعالى».

ثم أشار إلى واجبه الديني وواجب الأمة بأكملها تجاه نظام الشاه، قائلاً:

«واجبنا الديني اليوم هو الثورة على الشاه: ثورة شاملة، ثورة بالقلم، ثورة بالسلاح، عند حصولنا على أول بندقية، أتقدم أنا بنفسي أولاً حاملاً بندقيتي، وإن عجزت فأثور بخطاباتي وبكلامي و...».

وأخيراً حيى ذكرى الخامس من حزيران ودعا الشعب للثورة والانتفاضة بوجه النظام بمناسبة مرور ذكرى الانتفاضة العارمة.. وقال:

«على أمتنا عدم إهمال ذكرى الخامس من حزيران.. هذه الذكرى يجب أن تبقى حية دائماً، تلك جريمة يجب أن تبقى آثارها.. على شعب إيران أن لا ينسى جرائم الشاه منذ الخامس من حزيران إلى الآن كما يجب ألا ينسى جرائم أبيه من قبل. يجب أن تبقى هذه الجرائم حية كي تكون رمزاً لنهجنا وفكرنا الجهادي ضدهم. يجب على المعنيين والكبار وعي هذه الحقيقة. على الشعب اليوم إحياء وحفظ هذه الذكرى المجيدة إما بالمظاهرات أو المسيرات أو الهتافات وعند عدم الاستطاعة فعليهم بمقاومة النظام سلبياً والتزام بيوتهم ومساكنهم وترك أعمالهم ومشاغلهم».

« ... نرى أن الشاه يحاول تبرئة نفسه مما ارتكب من مجازر وجرائم طيلة سلطنته وهيمنته، ويلقي بمسؤولية كل ذلك على المسؤولين وكبار رجال الدولة.. ودليل ذلك محاولته تغيير بعض عناصره وأعوانه. إنه يخادع ويراوغ بتغيير وسائل الإجرام وآلاته متغافلاً عن مصدر الإجرام وأساسه، فالأمة الواعية سوف لن تخدع بأساليبه هذه وسوف لن تنسى المجرم الأول.. فتارة يصف معارضيه بأنهم أشخاص يريدون تقسيم البلاد أو تسليط الاستعمار عليها.. وتارة يهدد الشعب بخطر

الشيوعية إذ بذهابه واعتزاله الحكم سوف تهيمن هذه الفئة، ولعل البعض من السذج خدعوا بأحابيله، وتناسوا أن الاشتراكية والشيوعية ما وجدت في إيران إلاّ عن طريق الأميركيين أنفسهم (كما أوجدت بريطانيا حزب توده الشيوعي). وقد زعم الخبراء والمتخصصون، أن جل المتحمسين للفكر الشيوعي في المنطقة هم من عملاء أميركا، أولئك يسعون لمحاربة النهضات الوطنية والدينية عبر الاشتراكية تلك، والتي شهدنا تجربتها بأعيننا في السنين الأخيرة والشيوعية في العراق خير شاهد على ذلك.».

وباقتراب شهر شعبان المبارك شهر الأفراح والأعياد الإسلامية التي تشهد سنوياً احتفالات واسعة وكبيرة، استغل الإمامقدس سره هذه الفرصة ودعا الشعب إلى عدم إقامة الحفلات والأعياد ليلتي الثالث والنصف من شعبان فإن ذلك ما سيدعونا إلى نسيان آلامنا ومصائبنا جراء جرائم الشاه بحقّنا وألقى خطاباً جاء فيه:

«لقد طلبوا مني بيان وإيضاح رأيي حول إقامة حفلات الفرح في مناسبات شهر شعبان تكراراً ومراراً، ومع شديد الأسف لم يبقِ لنا هذا النظام الجائر أعياداً وأفراحاً.. على أمة إيران أن تعلم وتعي سياسة النظام، فلقد مدّ يده لنا في أجواء هذه المناسبات وأخذ يحثُّ ويشجع عليها من أجل حرف اتجاه المسيرة المباركة إلى اتجاه آخر، إذ بذلك سوف تكون ثورتنا ونهضتنا خاسرة ومشلولة لا سمح الله، وستذهب

دماء شهدائنا هدراً عندها».

ثم تطرق إلى انخداع بعض الاتجاهات الدينية بسياسة الشاه وأظهر قائلاً:

«أمتنا المجيدة الواعية عرفت طريقها ومسارها، وسوف لن تميل إلى أي اتجاه شيطاني مهما حمل اسم القرآن أو المهدي المنتظر عليه السلام. عيدنا سيكون في تدمير كيان الظلم والظلمة ودحر النظام البهلوي وإجلائه عن إيران. وإنه لقريب بإذنه تعالى وهو عيد إسلامي وعيد لولي الأمر عجل الله فرجه».

وفي ختام بيانه هذا طالب الإمام الشعب بإعلان مصائبهم وابتلاءاتهم وأحزانهم وإيصالها إلى عامة الشعب وأوصاهم بفضح النظام أكثر فأكثر وعدم الخشية من إبليس وجنوده.

في 27 تموز أصدر الإمام بياناً وجهه إلى الجماهير الثائرة فحيّاهم وشكر مواقفهم البطولية في عدم إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية التي مضت، وردّ على ادعاءات رئيس الوزراء حول انتهاء التظاهرات، بقوله:

«إن الصمت والسكوت وعدم الاحتجاج، معارض لأهداف ومصالح الإسلام العليا ومخالف لمبادىء وإيديولوجية المذهب الجعفري الحقة. والدعوة إلى الاستنكار والتحرك والثورة هو ما يطابق تعاليم السيرة النبوية وبالأخص سيرة خاتم الأنبياء محمد ﷺ».

وباقتراب حلول شهر رمضان المبارك خاطب الإمام علماء الدين والكتل السياسية وزودهم بالتعاليم اللازمة والإرشادات الهامة فقال:

«إن نهضتنا المقدسة في إيران ولدت يوم الخامس من حزيران عام 1963م وهي إسلامية بحتة مئة بالمئة وخطط لها وفجّرها علماء الدين بدعم الأمة الإسلامية الثائرة فقط لا غير، ولم تعتمد على أي اتجاه أو حزب، إن نهضتنا التي استمرت خمسة عشر عاماً هي نهضة إسلامية ولا يد لأحد فيها سوى المرجعية والزعامة الدينية. إن ما يقوم به البعض من تحمُّسٍ ونشاط مكثف لغرض مصالح ومنافع شخصية، هادفين إلى مسخ الحركة الإسلامية، أو إلصاق التهم الباطلة بها باسم التطرف والإنسياق وراء الأحزاب أو الفرق، أو لمقتضيات مصالحهم المشتركة مع الشاه من أجل إيقاف الحركة وعرقلة مسيرتها، أولئك ليست لهم إلا نوايا شريرة ومقاصد سيئة تجاهنا. يجب على أمتنا البطلة مراقبة هؤلاء وملاحظة تحركاتهم وأفعالهم، فإن ظهرت بوادر انحرافهم وخياناتهم فعليكم حينها الابتعاد عنهم، وإنني أعلن بصراحة تامة وأكرر وأقول: إن عادت هذه الجماعة المعدودة إلى إعلان مطالبها والتي تهدف إلى تبرئة الشاه عن الجرائم والانتهاكات والفساد الجاري، وأكدت عليها، فسوف تتخذ الزعامة الدينية موقفها النهائي منهم».

وفي ظل هذه الأجواء الخطرة على الشاه قرر النظام إجراء

انتخابات في البلاد لكن الإمام كان يعي جيداً ويعلم بأن «الانتخابات الحرة» أصبحت هدفاً ورمزاً لأحزاب سياسية ودينية مهادنة، وكان يخشى من تحركاتهم التي قد تؤثر على مسيرة النهضة الإسلامية وتحرِفها عن مسارها الرئيسي، لذا خاطب الجماهير محذراً إياهم بقوله:

«مرة أخرى أحذر شعب إيران، فبعد جهود الحكومة ومواصلتها الدعاية والإعلام أخذ الشاه ينادي بالانتخابات أيضاً. إن كل من يدرس أقاويله سيعلم جيداً بأن الشاه يهدف من وراء الانتخابات الإطاحة بالثورة الإسلامية، وإبعادها عن مسارها الأساسي والرئيسي، وهو إسقاط كيانه والإطاحة به. ولكن قد فات الأوان وأصبحت فكرة الحكومة الإسلامية سارية في عروق الشعب الإيراني والنصر قريب بإذنه تعالى».

وأخيراً طالب الجماهير المؤمنة أن تدعو الخطباء والمتكلمين إلى الكفّ عن تأييد الانتخابات وطالبهم الاستمرار بفضح جرائم الشاه وفجائعه.

إعلان الأحكام العرفية في أصفهان

أقيمت العديد من المجالس والمحافل الدينية بمناسبة شهر رمضان المبارك في كافة أنحاء البلاد كما انطلقت مظاهرات ليلية في عدة

مدن. وتظاهر أهالي أصفهان وهاجموا عدة دور للسينما وبنوك «صادرات» وفندق شاه عباس. وأسرعت القوات المسلحة إلى ساحة التظاهرات وفتحت النيران على المتظاهرين مما أدى إلى استشهاد وجرح المئات منهم. وعلى إثر ذلك أعلن حظر التجول ونسبت الصحف التظاهرات التي انطلقت في أصفهان إلى المتطرفين الشيوعيين.

وبعد يومين من واقعة أصفهان وجه الإمام خطاباً عزى الشعب فيه ثم وجّه عتابه ونصيحته إلى الجيش وأفراد القوات المسلحة حيث قال:

«على جيش إيران وجميع المسؤولين المحترمين أن يعلموا بأن تنفيذهم الأعمى لكل أوامر الشاه الجائرة سوف لن يترك لهم سوى العار والرذيلة واللعن للأبد. فإلى متى سيستمر الضباط والعسكريون والقادة بقتل إخوتهم وأبناء شعبهم وإلى متى ينقادون قسراً لأطماع الشاه الذي هتك أعراضهم واستباح نساءهم وحرمهم وسلب حرياتهم وهاجم عقائدهم؟ وإلى متى يدافعون عنه؟ بأي عذر وبأي مبرر يطلقون الرصاص على إخوتهم في الدين والعقيدة؟ إنكم مسؤولون عن كل ذلك يوم الحساب.

يجب عليكم إطاعة أوامر الله وعصيان وخذلان الظالمين. لا تشتروا بقتلكم إخوانكم عذاب الدنيا والآخرة. ألا تسمعون آهات الأمهات الثكالى؟ إن هؤلاء الأمهات أمهاتكم. ثم ألا تفكرون بأنكم سوف تكونون السبب في أحزان وآلام الآخرين من الأمهات والآباء والأطفال

والنساء والأخوة والأخوات؟

توبوا إلى الله والتحقوا بصفوف المؤمنين وسيكون النصر حليفكم في الدنيا والآخرة».

وفي يوم مرور الذكرى السنوية لانقلاب 19 آب شب حريق فظيع في سينما ركس في مدينة آبادان وكان السافاك هو المخطط والمنفذ لهذه العملية، وهنا أصدر الإمام بياناً أزاح الستار عن المجرم الحقيقي قائلاً:

«لا أظن أن أي فرد مسلم أو أي إنسان قادر على القيام بمثل هذا العمل الشنيع إلاّ من اعتاد على أمثال هذه الجرائم الوحشية وأصبحت طباعه وحشية ودموية لا إنسانية. وإن من الواضح ألا يكون هذا العمل اللاإنساني والمخالف لدستور الإسلام وأحكامه، صادراً عن معارضي الشاه الذين كرسوا أنفسهم لحفظ مصلحة الإسلام والوطن وللدفاع عن الشعب وكرامته وحرمه..

إن ما قاله الشاه بأن المعارضين للنظام يعدون الشعب بالخوف والإرهاب والوحشية العظمى وإن تكرار هذه العبارة بعد الحادث، لهو دليل على أنه هو الذي توعد بالوحشية، فهو ليس نبياً وليس عالماً للغيب! إن كل القرائن تدل على أن الشاه وأعوانه هم الذين ارتكبوا فاجعة آبادان لأنهم هم الجهة الوحيدة التي لها أهداف جراء هذا الحادث».

وفي الختام أشار إلى استغلال الشاه الحادث إعلامياً وسياسياً وقال:

«إن هذه المصيبة الفادحة استغلها الشاه إعلامياً في الداخل والخارج من أجل إستغفال الشعب والرأي العام. ومن أجل أن يُحمَل النهضة وأبناءها مسؤولية هذه الجريمة النكراء ولكي يصور للشعوب الأخرى بأن الشعب الإيراني يفقد كل الدوافع والقيم الإنسانية والإسلامية».

بعد انكشاف تورط حكومة «جمشيدآموزكار» في حادث آبادان عزله الشاه عن رئاسة الحكومة وأحل محله «شريف إمامي» في 27 آب. والأخير كان من أزلام الشاه ومن الماسونيين المعروفين وعبّر «إمامي» عن حكومته بحكومة الوفاق الوطني. وكانت تعتبر مثالية ونموذجية عند بعض الأحزاب والشخصيات السياسية والدينية المهادنة. ولكي يمنع الإمام من حدوث أي نوع من المفاوضات المحتملة بين الأطراف السياسية المخدوعة والحكومة، أصدر بياناً فضح فيه مؤامرة الشاه الجديدة واعتبر وعود رئيس الوزراء محاولات لإستغفال الشعب وهي مجرد ادعاءات وهمية وفيما قاله:

«إن ما يقوم به النظام من تغيير عناصره، هي مؤامرة ضد الشعب من أجل الضغط على الثورة والصحوة الإسلامية وبالتالي إخمادها. ولقد ثبت لدى الشاه أنه لن يستطيع مواجهة الشعب بالرصاص

والدبابات والمدافع ولذا عمد إلى طريق الخداع والمكر، فهو يحاول خداع الشعب ببعض الكلمات والعبارات المعسولة ليمهّد لنفسه طريق الاستمرار في الخيانة والعمالة والإجرام.

لكن الشعب لن ينخدع بكل هذه المحاولات وسيبقى نافراً ومتذمراً من الشاه وجلاوزته الذين يخلصون له الخدمة ويفتخرون بها».

وأضاف مشدداً:

«إن الصلح مع النظام، تفسيره سحق كافة دماء شهدائنا وإهدارُها. ثم كيف يمكن للزعامة الدينية أن تسكت وتصمت إزاء الاعتداء على المقدسات الإسلامية وسلب ونهب ثروات المسلمين وقتل الأبرياء؟ إننا لا نصالحهم لمجرد ادعاءاتهم باحترام علماء الدين، إن ذلك عار علينا، علينا أن نسعى جادين لتحقيق أهداف الشعب ومطالبه التي يرددها في احتجاجاته ومظاهراته، فكافة أفراد الشعب يطالبون بإسقاط نظام بهلوي وسوف لن يكتفوا بوعود كاذبة تدعي احترام العلماء، وإغلاق البارات المؤقت، وإرجاع التقويم التاريخي إلى سابقه. إنه لمن المؤسف أن تعتبر الحكومة الشعب وعلماء الدين والسياسيين طفلا صغيراً يمكن إغراؤه بلعبة تافهة. على شعب إيران أن يعلم بأنه سوف لن يكون هناك عالم دين يصالح ويتفاوض مع نظام ظالم تلاعب بأحكام الله والقرآن الكريم. الصلح، هو تسليط جلاوزة الشاه على رقاب الشعب وأمواله ونواميسه وليس هناك جرم أعظم من هذا، وليس

بإمكان أي عالم دين اقترافه. وكذلك الأحزاب والكتل والحركات السياسية سوف لن تتفاوض وليس بإمكانها أن تتفاوض مع نظام زج أفراد الشعب في سجن الشاه الكبير وتسبب في هدر كافة الثروات الوطنية والقومية، إذ هذا مما لا يتحمله السياسيون مطلقاً».

وهنا طالب شريعتمداري الشعب بالتزام الهدوء وضبط النفس والتأني. وأعلن في الثاني من أيلول: «إننا سنمنح الحكومة الجديدة شهرين أو ثلاثة لكي تلبي طلباتنا».

ومع حلول عيد الفطر السعيد أبرق الإمام إلى الشعب مهنئاً وقال:

«إن شعب إيران المسلم أدى عبادة عظيمة بعد أدائه صلاة عيد الفطر. تلك، هي مظاهرته وهتافاته المدوية بالموت للشاه ومطالبته بإقامة الحكومة الإسلامية. إن هذه من أعظم العبادات وهذه هي سيرة الأنبياء والمرسلين، وخاصة سيرة الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام».

وحذّر الشعب من الالتفات إلى وعود الحكومة الكاذبة قائلاً:

«يجب استغلال كافة الفرص ويجب أن نكثّف من اجتماعاتنا ومشاركتنا في المساجد والمحافل العامة من أجل الدفاع عن القرآن والعدالة الإسلامية، وأن نردّ على كل الأصوات والوساوس الشيطانية التي يرددها بعض المغفلين أو المغرضين والتي تنتهي بنفع حكام الظلم والجور وتعود بالضرر على الإسلام.

إن الشعب سوف لن ينخدع بهذه الأهازيج. وإن الشاه وحكومته الذين شهروا السلاح بوجه الشعب وتعدوًا على الدستور وحقوق الأمة وانتهكوا مقدسات ديننا الحنيف، هم خونة وعملاء، والانصياع لأوامرهم هو عبادة للطاغوت.

وإني أطالبكم جميعاً بعدم فسح المجال لهؤلاء وعليكم التشهير بجرائمهم وأفعالهم الوحشية أمام العالم بأسره».

ثم وجه الإمام شكره إلى قوات الجيش والشرطة لعدم تعرضهم للمتظاهرين يوم عيد الفطر وناشدهم بالعودة إلى أحضان الشعب.

فلقد كانت مظاهرة عيد الفطر استعراضاً عظيماً دل على مدى قوة الجماهير الثائرة والسائرة على نهج الإمامقدس سره وتركت هذه التظاهرات خوفاً وهلعاً عميقاً في قلوب قياديي الجيش إثر التحاق عدد لا يستهان به بصفوف الجماهير المنتفضة. مما جعلهم يطالبون الشاه بإصدار أوامره لمنع المظاهرات. وفي السادس من أيلول أصدر الشاه قراراً بمنع الاحتجاجات والمظاهرات في البلاد. وبالرغم من هذا القرار اندلعت في اليوم التالي مظاهرة أكبر وأعظم من مظاهرة يوم الفطر، شارك فيها ما يقارب من مليوني شخص وكانوا يطلقون هتافات «الموت للشاه» و «قيامنا حسيني، قائدنا الخميني».

بعد هاتين المظاهرتين العارمتين، أعلن الشاه منع التجول وفي اليوم التالي أي في الثامن من أيلول انطلقت الجماهير بمظاهرة أخرى

استمراراً لحركتهم خلال الأيام المنصرمة. بيد أنهم فوجئوا بمحاصرة الجيش المدجج بالسلاح، وهاجم الجيش المتظاهرين وأمطرهم بالرصاص وأسفرت المجزرة عن استشهاد أكثر من أربعة آلاف شهيد إضافة إلى المئات من الجرحى. وظن الشاه بذلك بأنه أخمد الأصوات المناوئة بإراقته دماء الآلاف من الأبرياء والعزل بين العاصمة وباقي المحافظات.

وبعد يوم على هذه المجزرة المروعة وجّه الإمام بياناً إلى الشعب، جاء فيه:

«أيها الشعب الإيراني الشريف الشجاع. لقد أثبت الشاه مرة ثانية أن الجماهير ترفض الانصياع لأوامره بشكل تام بفرضه لأحكام منع التجول في طهران وبعض المدن الأخرى. وإن إعلان الأحكام العرفية ومنع التجول هو جرم لا مبرر له. لأن التظاهرات كانت تتم بهدوء تام كما نقلت إذاعة النظام بنفسها. وإن فرض الأحكام العرفية وحظر التجول لا يبرر للشاد قتل الآلاف من أبناء الشعب.. وفي الحقيقة إن الشاد يريد أن ينتقم من الشعب لكي يخمد الأصوات المناهضة حسب زعمه. وقد فات الأوان فإن الشعب قد وعى ونهض وأدرك كل شيء.

ليتني كنت معكم يا أبناء إيران الثائرين، لأنال وسام الشهادة في الدفاع عن عقيدتنا الإلهية الحقة.

ليعلم شعب إيران بأن النصر سيكون حليفه عاجلاً أم آجلاً. لقد

أراد الشاه أن يشرك علماء الدين في جرائمه عبر قناة حكومة الوفاق الوطني، لكن هذه المؤامرة سرعان ما انكشفت للجميع..».

وفي الختام دعا الجيش الإيراني للخروج عن طاعة الشاه والالتحاق بصفوف الجماهير.

ومن أجل الإجهاز على نظام الشاه أمر الإمام الشعب بالاعتصام العام ودعا الشعب قائلاً:

«يجب علينا من الآن فصاعداً ترك أعمالنا ومشاغلنا لفترة ما، حتى يفتح الله علينا، فإن نظام الظلم سينهار عما قريب. ولا تسرعوا في العودة إلى الأسواق والعمل، واسعوا إلى تقوية روح الإيمان عند الضعفاء، وإن الرزق بيد الله.. ولا تهابوا الموت فإن الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى».

واستمر الإمام في دعوته للشعب بالإضراب:

«الآن وبعدما اجتمع مرتزقة الشاه في البرلمان وقاموا بحركاتهم المشبوهة والمكشوفة من أجل إستغفال الجماهير وتبرئة الشاه وتحميل الآخرين ذنوبه وجرائمه وخياناته، وحيث يقوم كل الخونة والمجرمين في الداخل والخارج بإعلان دعمهم للشاه وانتهاكاته، والآن حيث بان زيف دعوة دعاة الحرية وحقوق الإنسان.. ينبغي على الشعب الإيراني أن يعلن إضرابه ويعلن يوم الخميس الحادي عشر من شوال يوم الحداد العام».

ثم شبه ثورة الشعب الإيراني بوقوف الإمام علي عليه السلام أمام معاوية، وبشر الشعب بالنصر المؤزر وقال:

«إن من وراء هذه التضحيات والأحزان، أفراحاً عديدة. وسوف تلمسون الحرية والاستقلال بأنفسكم. إن مقاومتكم وصمودكم ألحقا أنكر هزيمة بالعدو مما اضطره إلى إعلان الأحكام العرفية في العديد من المدن، وأدى ذلك إلى فضح النظام في كافة الأوساط الدولية والإنسانية. اطمئنوا يا أعزائي فإنكم منتصرون بإذن الله تعالى».

وعلى أثر وقوع هزة أرضية شديدة في مدينة «طَبَس» والقرى المحيطة بها في السادس عشر من أيلول، حيث أدت إلى تدمير 80٪ من المدينة والقرى المجاورة بادر النظام لاستغلال الفرصة وانتهازها للفت أنظار الشعب إلى المصيبة والفاجعة كي يقلل من حدة الاحتجاجات والمظاهرات. وهنا توجه الإمام إلى الشعب منادياً:

«أيها الشعب الإيراني المسلم! عليك أن تبقى يقظاً وأن لا تهزَّك المصائب والكوارث. إمضِ في نهضتك وثورتك الإسلامية المجيدة إلى الأمام غير مبالٍ بكل الأقاويل الكاذبة والماكرة».

وظلت حكومة «شريف إمامي» تعيش القلق حتى أنه بنفسه انتقد الشعب لعدم ثقته بالحكومة قائلاً: «لقد بلغت حدة انعدام ثقة الشعب بنا إلى درجة أننا لو قلنا لهم بأن الوقت نهار.. فسوف لن يصدقونا أيضاً!!».

الفصل العاشر

رحلة عودة الإمام

إلى إيران

محاصرة منزل الإمام

في 18 أيلول التقى السفير الإيراني لدى العراق بصدام حسين، نائب رئيس الجمهورية. واتفقا على تطويق منزل الإمام في النجف ووضع الإمام تحت الرقابة المشددة مما أدى إلى انقطاع البيانات والخطابات من الإمام إلى نحو أسبوعين، مما تسبب في اتساع النهضة والمعارضة والولاء للإمام أكثر فأكثر. وقد اعتصم موظفو وعمال مصفاة آبادان وموظفو شركة البريد والهاتف في طهران وموظفو جزيرة «خارك» ومؤسسة تمديدات المياه بطهران والسكك الحديدية في 25 و 27 و 29 من أيلول.

حينها أصدر السافاك قراراً وزّعه على جميع أفراده يأمرهم بإشاعة رفع الحصار عن منزل الإمام.

لقد شرح الإمام تفاصيل فرض القيود عليه ومحاصرة منزله بالشكل التالي:

«سعت الحكومة العراقية في الآونة الأخيرة إلى تحديد نشاطاتنا. وقد وزعت حراسها حول البيت بحجّة المحافظة على سلامتنا بعد أن

بثت دعاية بمحاولة اغتيالي من قبل البعض. وازداد عدد الحراس يوماً بعد آخر إلى أن جاء رئيس مديرية الأمن العامة في بغداد وحضر عندي، وكان رجلاً لين الطباع وكثير المجاملة وقال لي: «نحن لا نعارض أي نشاط لكم!» وبعد عدة أيام دخل عليّ أحد المسؤولين الكبار وصرح قائلاً: «إننا ونظراً لتعهداتنا للحكومة الإيرانية لا نستطيع تحمّل نشاطاتكم وتحركاتكم هنا». وطلب مني عدم إجراء اللقاءات الصحفية وإرسال الأشرطة والخطابات، فقلت إنني لا أستطيع التخلي عن كل ذلك، وأنتم لكم واجباتكم فافعلوا ما ترون. وإني سأستمر في إرسال الخطب والبيانات والأشرطة وأكدت له بأني لست مرتبطاً بمكان أو ببقعة معينة وبإمكاني أن أتجه إلى أية بقعة في العالم أواصل فيها نشاطي وأؤدي واجبي. فقال لي: أينما تذهبون فستواجهون نفس القيود والمعارضة. قلت له: سأذهب إلى باريس فهي لا علاقة لها بإيران وليست لإيران عليها أية سيطرة! فأبدى امتعاضه.

بعد ذلك شعرت بإحساس الخطر من الحكومة العراقية على بعض المقربين لنا، فطلبت من السيد دعائي تهيئة مقدمات السفر وتحضير التذاكر. وكانت الحكومة العراقية قد منعت سفرنا من ذي قبل، وعلى أي حال حصلنا على تأشيرة للكويت، كان برنامجنا هو الانتقال للكويت ثم الاتجاه إلى سورية ولم يكن هدفنا الأول باريس. وانطلقنا.. وعندما وصلنا الحدود جوبهنا بمعارضة الدخول ويبدو أن جميع

القوى الشيطانية قد اتحدت وتعاضدت ضدنا. وأدركت بأن كافة الدول الإسلامية تتخذ نفس القرار، لذا صممنا الاتجاه إلى فرنسا وألغينا سفرنا إلى سورية. وفي هذه الفترة كنت مشغولاً بتهيئة بيان لأوجهه إلى إيران لأطلع الشعب على ما يدور في الساحة. أما تهيئة السفر لفرنسا فلم يكن من الخيارات المطروحة سلفاً، ولكن الله سبحانه وتعالى سهل لنا وشاءت إرادته ذلك..».

واتجه الإمام وعدد من المقربين إليه إلى بغداد ليغادروا إلى فرنسا. ووجه الإمام بياناً إلى الشعب الإيراني شرح لهم فيه الظروف التي يمر بها في النجف والتي اضطرته إلى الهجرة إلى باريس. ثم دعا الشعب إلى التحدي والمقاومة، ونقل أحد المقربين للإمام البيان التاريخي هذا إلى إيران عبر الهاتف وانتشر بسرعة فائقة. وقد جاء في هذا البيان ما يلي:

«لقد اضطررنا إلى ترك جوار أمير المؤمنين علي عليه السلام وأراني غير قادر على خدمتكم في البلدان الإسلامية التي تحكمها حكومات عميلة. ونظراً لممانعة الكويت بدخولي إلى أراضيها قررت الاتجاه إلى فرنسا. إن المكان بذاته ليس مهماً، إنما المهم هو العمل وأداء الواجب الشرعي والإلهي وتدبير مصالح المسلمين. نحن جميعاً مسؤولون ومكلفون بخدمة الدين الإسلامي.

لقد اشرأبت وجوه الجميع نحونا، وتوجهت أنظار الشعوب إلينا

وأصبحت الحكومات تراقب حركاتنا وسكناتنا وتحسب ألف حساب لقوتنا وصمودنا. عليكم يا رجال التاريخ أن تثبتوا للعالم بأسره وللأجيال القادمة صمودكم أمام الظالمين ودفاعكم عن الحقوق المشروعة. إن الأمة التي تمضي من أجل نصرة الحق وإزهاق الباطل هي أمة خالدة.

إن هؤلاء الرجال الغيارى الذين استردوا عزتهم وكرامتهم بدمائهم لمنصورون ومؤيدون حقاً.

وإنني لأشعر بالأسى والألم عندما أشاهد تضحيات هؤلاء الأبطال، وصمودهم وثباتهم أمام المصائب والمحن بشجاعة منقطعة النظير. وأنا لست بينهم، بل وأنا بعيد عنهم بجسمي، معهم بأفكاري ومشاعري، بقلبي وعقلي وبكل أحاسيسي، وأسأل الله أن يعيد للإسلام عزته وكرامته، ويقطع دابر الكافرين المارقين».

الإمام في باريس

وفي السادس من تشرين الأول عام 1978م وصل الإمام إلى باريس وانتقل بعد يومين من وصوله إلى منزل أحد الإيرانيين المقمين في نوفل لوشاتو (في ضواحي باريس) وخلال مدة اقامة الامام هناك تحولت تلك القرية الصغيرة (نوفل لوشاتو) إلى أهم مركز منبري في العالم حيث كان الامام يجري الكثير من اللقاءات الصحفية واستطاع

بذلك أن يوصل نداء الثورة إلى كل العالم عندها عمت الإضطربات كافة المناطق والمؤسسات الإيرانية والأسواق والمصانع و..مما سلب النوم من أعين الشاه وأعوانه وكان الامام خلال مدة إقامته في باريس والتي دامت أربعة أشهر يصدر كل يوم بياناً يوجه فيه سفينة الثورة نحو شاطئ النصر، وكانت بيانات الامام توزع في كافة المناطق الإيرانية بسرعة حيرت العالم ومع إطلالة شهر كانون الأول عام 1978م إضطر الشاه إلى إطلاق سراح السجناء السياسيين لعل ذلك يخمد لهيب الثورة والغضب الثوري، لكن موسى كان بإنتظار فرعون فقد فضح الإمام كل ألاعيب الشاه.

وفي السادس عشر من شهر كانون الثاني سنة1979 فر الشاه قبل أن يصل إليه عقاب الشعب والتحق بأسياده الأمريكان وفي هذه المناسبة أصدر الامام بياناً قال فيه:

«أعلن بشكل قاطع أن الحل الوحيد هو بإخراج الشاه والمستشارين الامريكان من إيران. وإن كان هذا الظالم قد فر من أيدينا بيد ملطخة بدم شبابنا وجيب ملئ بذخائر وثروات هذا الشعب لكن قطع يد الظالم هو إنتصار بحد ذاته».

وبعد الشاه أوعز الامريكيون إلى بختيار وهو أحد قادة الجبهة الوطنية والذي اشتهر عنه قوله بعدم قانونية قيام الجماهير على سلطة الملك بأن يشكل حكومة ذات توجه قومي باستعمال الخداع

والارهاب لإخماد الثورة.

وهنا قرر الامامقدس سره مباشرة أن يأتي إلى إيران ليقود الثورة عن قرب. وإذا كانت أمريكا تريد القضاء على الشعب فهو يريد أن يكون إلى جانبه؛ ولكن بختيار أمر بإغلاق جميع المطارات بوجه الامامقدس سره، حتى أنه هدد بتفجير طائرة الامامقدس سره ولكن عناية الله شملت شعب إيران والمسلمين ومنت عليهم بنجاة الامامقدس سره وعودته سالماً عزيزاً إلى وطنه ففي الأول من شباط عام 1979م وطأة قدما الامامقدس سره أرض ايران بعد أربعة عشر عاماً قضاها في المنفى، وارتجت القلوب وحبت الأنفس وتحول مشهد الملايين التي جاءت لإستقباله إلى أروع لوحة رسمت بألوان الدماء الزاكية والأحرف النورانية لحفيد الحسينعليه السلام وسليل الأطهار، لم يتوجه الامامقدس سره بعد نزوله من الطائرة إلى قصر الشاه المخلوع كما يفعل قادة الثورات في العالم، بل قاده حنينه وحبه لشعبه إلى روضة الشهداء وهناك أعلن بصوت تردد صداه ليمسح عن قرون الغربة والإنحطاط غبار العار قائلاً:

«أنني وبدعم هذا الشعب أعين الحكومة

أنني سأضرب هذه الحكومة (حكومة بختيار) على فمها

أننى أعين الحكومة...».

وهكذا أضحى الامام بين أمته يقود الثورة نحو الحكومة الإسلامية.

الفصل الحادي عشر:

برنامج المشروع السياسي للإمام يخطه لكوادر الثورة

هذا الفصل الذي نقدمه للقراء الأعزاء مقتطع من كتاب للإمام قدس سره نشر تحت عنوان "الحكومة الإسلامية" وفيه رسم المشروع السياسي بأبعاده وأهدافه الرئيسية وقد يطلق عليه "منشور الثورة" أو مشروع إقامة الحكومة الإسلامية في العالم.

نحن مكلفون بالعمل الجدي لأجل إقامة الحكومة الإسلامية، ويعتبر العمل الدعائي أول أنشطتنا في هذا الطريق، فيجب أن نتقدم من خلال العمل الإعلامي، ففي جميع أنحاء العالم كان الأمر كذلك على الدوام. إذ يلتقي عدة أشخاص ويفكرون في الأمر، ثم يقررون ويقومون بعد ذلك بالعمل الدعائي، فيزدادون شيئاً فشيئاً، إلى أن ينتهي الأمر بأن يصيروا قوة نافذة في حكومة كبيرة. أو يحاربونها. ومن ثم يسقطونها. لقد قضوا على محمد علي ميرزا(16) وأقاموا حكومة «المشروطة».

ولم يكن منذ البداية ثمة جيش وقوة، وإنما تقدموا من خلال العمل الدعائي. وأدانوا المتسلطين والمتفرعنين. وقاموا بتوعية الشعب، وأفهموا الناس أن هذا التفرعن أمر مرفوض. وأخذت دائرة العمل

الدعائي (التوعية) بالاتساع شيئاً فشيئاً، حتى شملت جميع طبقات المجتمع، وتحول الشعب إلى قوة يقظة وفاعلة، ومن ثم حققوا النتيجة المطلوبة.

أنتم الآن لا تملكون حولاً ولا قوة، لكن يمكنكم القيام بالعمل الدعائي. والعدو لا يستطيع سلبكم جميع وسائل الدعاية. بالطبع يجب أن تقوموا بتعليم المسائل العبادية، لكن المهم هو المسائل السياسية للإسلام، المسائل الاقتصادية والحقوقية للإسلام. فإنها محور العمل، ويجب أن تكون كذلك. تكليفنا هو السعي لتأسيس دولة إسلامية حقيقية، ويجب علينا أن نقوم بالدعاية والإرشاد وتوحيد التوجهات، وإيجاد تيار دعائي وفكري من أجل تحقيق ظاهرة اجتماعية، لكي تنتظم الجماهير الواعية والعارفة لدورها والمتديّنة شيئاً فشيئاً في نهضة إسلامية تثور وتقيم الحكومة الإسلامية.

الدعاية والتوجيه نشاطان أساسيان ومهمان بالنسبة لنا. فوظيفة الفقهاء هي نشر العقائد والأحكام والأنظمة الإسلامية وتعليمها للناس، من أجل تهيئة الأرضية لتطبيق الأحكام، وإقامة الإسلام في المجتمع. لقد رأيتم أنه ورد في الرواية في وصف خلفاء النبي الأكرم ﷺ أي الفقهاء قوله أنهم «يعلمونها الناس» أي يعلمون الناس الدين. خصوصاً في هذه الظروف حيث يسعى المستعمرون والحكام الظلمة والخونة واليهود والنصارى والماديون لتحريف حقائق الإسلام

وإضلال المسلمين. ففي هذه الظروف تزداد مسؤوليتنا في التبليغ والتوجيه أكثر من أي وقت. نحن نرى اليوم أن اليهود . خذلهم الله . قد تصرفوا في القرآن، وأحدثوا بعض التغييرات في نسخ القرآن التي طبعوها في الأراضي المحتلة. ونحن مكلفون بالتصدي لهذه التصرفات الخيانية. فيجب رفع الصوت وتنبيه الناس، لكي يتضح أن اليهود وحماتهم الأجانب أناس معادون للإسلام، ويريدون إقامة حكومة اليهود في الدنيا .

وبما أنهم جماعة مؤذية وفاعلة أخشى . والعياذ بالله . أن يصلوا في يوم من الأيام إلى هدفهم، وأن يؤدي تقاعس بعضنا إلى أن يحكمنا حاكم يهودي . لا جعل الله ذلك اليوم. ومن ناحية أخرى فإن عدداً من المستشرقين . الذين هم العملاء الثقافيون للمؤسسات الاستعمارية . ناشطون لتحريف حقائق الإسلام وقلبها . دعاة الاستعمار يعملون بنشاط، ويقومون بإبعاد شبابنا عنا بدعاياتهم السيئة في كل زاوية من زوايا البلاد الإسلامية. إنهم لا يقومون بتنصيرهم أو تهويدهم، وإنما هم يفسدونهم ويجعلونهم بلا دين ولا مبالين، وهذا يكفي بالنسبة للمستعمرين. لقد ظهرت في مدينتنا طهران مراكز دعاية السوء الكنسية والصهيونية والبهائية لكي يضلوا الناس ويبعدوهم عن الأحكام والتعاليم الإسلامية.

أفلا يكون هدم هذه المراكز المضرة بالإسلام من وظيفتنا؟ فهل

يكفينا أن تكون «النجف» لنا فحسب؟ مع أنها ليست لنا أيضاً. هل علينا أن نجلس في «قم» ونكتفي بإقامة العزاء، أم يجب أن نكون على العكس من ذلك يقظين وفاعلين؟

أنتم جيل الشباب في الحوزات العلمية يجب أن تكونوا أحياء، وأن تقوموا بحفظ استمرارية أمر الله حياً.

أنتم جيل الشباب، تحركوا باتجاه النضج والتكامل الفكري، ودعوا التفكير الهامشي الذي التصق بكثير من العلوم لأن هذ النظرة الضيقة تعيق الكثير منا عن القيام بمسؤولياته المهمة. لبّوا نداء الإسلام، وأنقذوا المسلمين من الأخطار المحدقة. إن الأعداء يقومون بتصفية الإسلام. ويقضون عليه باسم الأحكام الإسلامية، وباسم الرسول الأكرم ﷺ.

لقد توجه الدعاة من مختلف الأنواع. سواء من أهل البلاد أو الأجانب، وسواء التابعين للاستعمار، أو دعاتهم الداخليين. إلى جميع القرى والمناطق الإيرانية، ويقومون بإضلال أبنائنا وشبابنا الذين يمكن أن يستفيد منهم الإسلام، فقوموا بإنقاذهم. أنتم مكلفون بنشر ما تفقهتم به بين الناس، وتعليمهم الأمور التي تعلمتموها. وكل ذلك المدح والتمجيد للفقهاء الوارد في أحاديثنا إنما هو بسبب كون الفقيه مبيّناً لأحكام الإسلام وعقائده وأنظمته، ومعلّماً لسنة رسول الله ﷺ للناس. عليكم أن تجدّوا في الإرشاد والتعليم لأجل نشر الإسلام، وشرح

مفاهيمه.

نحن مكلفون بإزالة الإبهام الذي «ألصقوه» بالإسلام. وما لم نزل ذلك الإبهام فإننا لن نتمكن من تحقيق أية نتيجة. علينا أن نقوم. نحن والأجيال الآتية. بإزالة الإبهام الملصق بالإسلام، والمرتكز في أذهان الكثيرين، حتى من المثقفين، نتيجة مئات السنين من دعايات السوء، وأن نبين الرؤى الإسلامية للكون وأنظمته الاجتماعية والحكومة الإسلامية، لكي يعرف الناس ماهية الإسلام ونوعية قوانينه. فالحوزات العلمية اليوم في قم ومشهد والأماكن الأخرى مكلفة بالعمل على بيان واقع الإسلام، وشرح مبادئه. إن الناس لا يعرفون الإسلام. فعليكم أن تعرّفوا شعوب الدنيا على أنفسكم وعلى إسلامكم وأئمتكم وحكومتكم الإسلامية. وخصوصاً لطبقة المثقفين والجامعيين الواعين. واطمئنوا إلى أنكم لو بيّنتم هذا المذهب كما هو في الواقع، والحكومة الإسلامية على واقعها، فإن هؤلاء سوف يتقبلونهما. إذ أن الجامعيين معارضون للاستبداد وللحكومات العميلة للاستعمار، ومعارضون للتسلط، ونهب الأملاك العامة، والسرقة والكذب. ليس هناك جامعة أو جامعيون يخالفون الإسلام الذي يمتلك ذلك الطراز من الحكومة والتعاليم الاجتماعية. إنهم يمدّون أيديهم إلى حوزة النجف طالبين منها الحل. فهل نجلس بانتظار أن يأمرونا هم بالمعروف، ويدعوننا إلى تأدية التكليف؟ إن شبابنا في أوروبا يأمروننا

بالمعروف، ويقولون لنا أنهم قد قاموا بتشكيل المراكز الإسلامية طالبين منا العون والمساعدة.

إننا مكلفون بالتذكير بهذه الأمور، وبيان نمط الحكومة الإسلامية، وطريقة أولياء الأمر في صدر الإسلام. وأن دار إمارتهم ودكة القضاء عندهم (وزارة العدل) كانت في زاوية من زوايا المسجد، بينمال كانت دولتهم تشمل إيران ومصر والحجاز واليمن.

ومن المؤسف أنه عندما انتقلت الحكومة إلى الطبقات الأخرى، تحولت إلى سلطنة، بل أسوأ. علينا أن نوضح الصورة عن تلك الحكومة التي نريدها، وعن شروط الحكام الذين يجب أن يحكمونا ويتولوا أمورنا، وعن تصرفاتهم وسياستهم التي يتبعونها. إن الحاكم في المجتمع الإسلامي هو ذاك الذي يقوم بما قام به الإمام علي عليه السلام مع أخيه عقيل لكي يمنعه من طلب أي تفضيل مادي على الآخرين، ومن طلب معونة إضافية من بيت المال. والذي يسترد العقد الذي تأخذه ابنته «كعارية مضمونة» من بيت المال ويقول لها لو لم تكن «عارية مضمونة» لكنت أول هاشمية تقطع يدها في الإسلام فنحن نريد حاكماً كهذا، حاكماً يطبق القانون، لا أهوائه وميوله، ويرى الجميع متساوين أمام القانون، وذوي حقوق أساسية ووظائف متساوية، فلا يفرق ولا يميز بين أحد وأحد، وينظر إلى أقاربه والآخرين نظرة واحدة. لو سرق ابنه، فإنه يقطع يده، ولو تاجر أخوه

وأختـه بالمخـدرات لأعدمـهم. لا أنه يعـدم عـدة أشخـاص لأجل عشـرة غرامات من الهيروين، بينما غيرهم يمتلك المقادير الكبيرة، ويستورد الشحنات تلو الشحنات.

الاستفادة من الاجتماعات لنشر الوعي السياسي

إن الكثيـر من الأحكام العبـادية في الإسـلام شـرعت من أجل الخدمات الاجتماعية والسياسية. وأساساً فإن العبادات الإسلامية توأم مع السياسة وتدبير المجتمع. فمثلاً صلاة الجماعة، واجتماع الحج، والجمعة لها آثار سياسية بالإضافة إلى آثارها المعنوية والأخلاقية والعقائدية. الإسلام وفّر هذه الاجتماعات ليستفاد منها دينياً، لتقوى عواطف وأحاسيس الأخوّة والتعاون بين الأفراد، ولينمو الرشد الفكري أكثر فأكثر، وليجدوا الحلول لمشاكلهم السياسية والاجتماعية، ولينطلقوا بعد ذلك إلى جهاد وسعي جماعي.

في البلاد غيـر الإسـلاميـة أو في ظل الحكومـات غيـر الإسـلاميـة الحاكمة في البلاد الإسلامية يضطرون لصرف الملايين من ثروة البلاد وميـزانيتها كلما أرادوا ترتيب مثل هذه الاجتماعات، ومع ذلك فإن اجتماعاتهم تلك تفتقر إلى الصفاء، وتكون خالية من كل آثار الخير. لقد أوجد الإسلام. من خلال نظمه. حوافز تجعل كل شخص يتمنى الذهاب إلى الحج من نفسه، وحتى لو كان سيراً على الأقدام، ويتوجه

إلى صلاة الجماعة بشوق ورغبة.

علينا أن نستفيد من هذه الاجتماعات لأجل التوجيه والإرشاد الديني، ونشر النهضة العقائدية والسياسية الإسلامية. البعض لا يفكر بهذه الأمور، ولا يفكر إلا في أداء القراءة في الصلاة بشكل صحيح. وعندما يذهبون إلى الحج، فبدلاً من أن يسعوا للتفاهم مع إخوتهم المسلمين، ونشر أحكام الإسلام، والتفكير بحلول لمشاكل المسلمين ومصائبهم العامة، فيبذلوا المساعي المشتركة مثلاً لأجل تحرير فلسطين. ذلك الوطن الإسلامي. تراهم بدلاً من ذلك يعملون على إيجاد الخلافات. مع أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يحققون الإنجازات المهمة في اجتماع الحج أو الجماعة والجمعة.

ولم تكن خطبة الجمعة مجرد قراءة سورة ودعاء ويضع كلمات، بل كانت خطب الجمعة تجيّش فيها الجيوش. وكانوا يتوجهون من المسجد إلى ميدان الحرب. وذاك الذي يتوجه إلى ميدان القتال من المسجد لا يخاف سوى الله فقط. ولا يخشى القتل والفقر والتهجير. وجيش كهذا هو جيش فتح وظفر.

عندما تطالعون خطب الجمعة لأمير المؤمنين عليه السلام وخطبه بشكل عام تجدون أنه كان ينهج فيها هذا النهج من: تحريك الناس، ودفعهم للنضال، والتضحية في سبيل الإسلام، والدفاع عنه، والعمل على حل مشاكل الدنيا. لو كانوا يجتمعون كل جمعة، ويتدارسون مشاكل

المسلمين العامة، ويحلونها أو يصممون على حلها، لما آلت الأوضاع إلى هذه الحال، علينا هذه الأيام أن نقوم بتشكيل وتنظيم هذه الاجتماعات بكل جدية، وأن نستغلها في التعليم والإرشاد والتوجيه. وبهذا تتسع النهضة العقائدية والسياسية للإسلام وتزداد اتقاداً.

ضرورة الدخول إلى ساحة الصراع النضالي

تبنّوا الإسلام واطرحوه. وحققوا بذلك نظير عاشوراء. كما حفظنا اليوم استمرارية عاشوراء بقوة، ولم نسمح بزوالها ونسيانها، وكما يستمر الناس كما إلى اليوم بإحياء عاشوراء بالتجمع وإقامة الشعائر (سلام على مؤسسها) فأنتم اليوم أيضاً أوجدوا تياراً يدعو لأمر الحكومة الإسلامية، ويحييها من خلال إقامة الاجتماعات ومجالس العزاء والوعظ، وطرح المسألة وتركيزها في أذهان الشعب.

إذ لو قمتم بالتحدث عن الإسلام، وعرّفتم الناس على عقائده وأصوله وأحكامه ونظمه الاجتماعية، فإنهم سوف يتقبلونه بحماس تام، والله يعلم أن مريدي الإسلام كثيرون. وقد جرّبت ذلك بنفسي، فعندما كان يتم إلقاء كلمة ما، كانت تحدث تياراً في الناس. والسبب في ذلك هو أن الجميع منزعجون من الوضع وغير راضين عنه، لكنهم لا يستطيعون إظهار ذلك في ظل الحراب والإرهاب.

فهم يحتاجون لمن يقف ويتكلم بشجاعة، وأنتم أبناء الإسلام

الشجعان، قفوا بقوة، وتكلموا أمام الناس، وبيّنوا الحقائق لجماهير الناس بالأسلوب البسيط، وادفعوهم نحو التحرك والثورة. وانفخوا في أبناء الشعب. من عمال ومزارعين طيبين وجامعيين يقظين. روح الجهاد، فسيتحولون جميعاً إلى مجاهدين. إن جميع طبقات الشعب مستعدة للنضال لأجل حرية الأمة واستقلالها وسعادتها.

وهذا النضال يحتاج إلى الدين، فضعوا الإسلام. الذي هو دين الجهاد والنضال. بين يدي الشعب، ليصححوا أخلاقهم وعقائدهم طبقه، ويشكلوا قوة مجاهدة تقضي على الأجهزة السياسية الجائرة الاستعمارية، وتقيم الحكومة الإسلامية.

الفقهاء «حصون الإسلام» عندما يقومون بدور تبيين عقائد الإسلام ونظمه للناس، ويكونون مدافعين عنه، ويرسخون ذلك من خلال المواقف الصلبة الواعية، ومن خلال قيادة الناس. فعندها سيشعر الناس. ولو بعد مرور العقود الطويلة على فقدهم. بأن ذلك الخسران كان مصيبة على الإسلام، وأنه قد خلّف فراغاً.

وبحسب تعبير الرواية «ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء» عندما يقول الحديث: «إذا مات الفقيه المؤمن ثلم في الإسلام ثلمة» فهل المراد هو مثلي، ممن جلس في بيته لا شغل له سوى المطالعة؟ إنما يُثلَمُ في الإسلام ثلمة عندما يفقد الإسلام شخصاً كالإمام الحسين عليه السلام، الذي كان حافظاً لعقائد الإسلام وقوانينه ونظمه.

أو كمثل العلامة نصير الدين الطوسي(17) والعلامة الحلي الذين قدموا الخدمات الجليلة والبارزة، فهؤلاء عندما يموتون يثلم في الإسلام ثلمة. أما أنا وحضراتكم فما الذي قدمناه للإسلام لكي نكون مصداق هذه الرواية فيما لو متنا؟ لو مات ألف شخص منا فليس لذلك من أثر، فنحن إما أننا لسنا بفقهاء حقيقة، أي كما يجب. أو أننا لسنا مؤمنين حق الإيمان.

التخطيط لتحقيق الأهداف الاستراتيجية

ليس ثمة عاقل يتوقع أن نتوصل من خلال عملنا التبليغي والإرشادي إلى تشكيل الحكومة الإسلامية بسرعة. فمن أجل النجاح في إقامة الحكومة الإسلامية المستقرة، نحتاج إلى أنشطة متنوعة ومتواصلة، فهذا هدف يحتاج إلى وقت طويل. عقلاء العالم يقومون بوضع حجر في مكان ما لكي يقيموا عليه بناءً بعد مئتي سنة من ذلك الوقت، ومن ثم يحققوا النتيجة المرجوة.

سأل الخليفة ذلك المزارع العجوز. الذي كان يضع الفسيل. عما يدفعه إلى زرع ما يحتاج في إنتاجه إلى خمسين سنة أخرى، حيث يكون قد مات الزارع فأجاب: «لقد زرعوا فأكلنا، ونزرع فيأكلون».

فعملنا إذا كانت نتيجته تتحقق للأجيال القادمة، فعلينا أيضاً أن نستمر به، إذ أنه خدمة للإسلام، ولأجل سعادة البشر، وليس أمراً

شخصياً لكي نقول: بما أنه لن ينتج الآن، وإنما سيأخذ نتيجته الآخرون فيما بعد، فلا علاقة لنا به. لو أن سيد الشهداء عليه السلام . الذي ضحى بكل ما لديه من ماديات. كان يفكر بمثل هذا التفكير، ولو كان عمله لنفسه ولفائدته الشخصية، لكان هادن منذ البداية، وانتهت القضية. كان الجهاز الأموي الحاكم إنما يريد من الحسين عليه السلام البيعة والخضوع لحكمه. فلم يكونوا ليحصلوا على أفضل من ذلك، بأن يعترف ابن النبي صلى الله عليه وآله وإمام ذلك الزمان بحكومتهم، ويخاطبهم بلقب «أمير المؤمنين». لكنه عليه السلام إنما كان يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين، وعارض وجاهد وضحى لأجل نشر الإسلام في المستقبل، وإقامة أنظمته السياسية والاجتماعية في المجتمعات.

تأملوا في الرواية التي ذكرتها فيما سلف لتجدوا أن الإمام الصادق عليه السلام الذي كان يعيش في ظروف تقية، وفي ظل ضغوطات الحكام الظلمة، ولم يكن يمتلك أية سلطة تنفيذية، وكان في معظم الأحيان يخضع للمراقبة والمحاصرة، ومع هذا يقوم بتعيين التكاليف للمسلمين. وينصب حكاماً وقضاة. فما معنى هذا التصرف منه عليه السلام ؟ وأساساً ما الفائدة المترتبة على هذا النصب والعزل؟ إن الرجال العظماء ذوي الآفاق الفكرية الواسعة لا يشعرون باليأس في أي وقت من الأوقات. ولا ينظرون إلى وضعهم الحالي، حيث يكونون في السجن، وليس من المعلوم أنهم سيخرجون منه أم لا .

بل يخططون للتقدم في أهدافهم مهما كانت الظروف التي يعيشونها، لكي ينفّذوا تلك الخطط فيما بعد بأنفسهم إذا تمكنوا، وإذا لم تسنح لهم الفرصة، يقوم بذلك الآخرون. ولو بعد مئتين أو ثلاثمائة عام. الكثير من النهضات الكبرى بدأت بهذا الشكل. فسوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا السابق[18] كان يحمل تلك الأفكار في السجن، ووضع الخطط والبرامج، ومن ثم نفذها فيما بعد.

والإمام الصادق عليه السلام عدا عن وضع الخطة. قام بالنصب والتعيين أيضاً. لو كان عمل الإمام عليه السلام ناظراً لذلك الوقت فقط، لكان يُعدُّ عمله هذا ضرباً من اللغو، لكنه عليه السلام كان يفكر بالمستقبل. فهو لم يكن مثلنا مشغولاً بنفسه ومهتماً بوضعه فقط. كان يحمل همّ الأمة البشرية بل وجميع العالم.

كان يريد إصلاح البشر، وتطبيق قوانين العدل. كان عليه أن يقوم بالتخطيط والتعيين منذ ألف وعدة مئات من السنين، لكي يتوصل إلى يقظة الشعوب هذه الأيام، وإلى وعي الأمة الإسلامية وثورتها. لم يبق ثمة تحيّر، فوضع الحكومة الإسلامية ورئيس الإسلام معلوم، وأساساً فإن دين الإسلام، ومذهب الشيعة، وسائر المذاهب والأديان تقدموا بهذا الشكل. أي لم يكن ثمة شيء في البداية سوى الأطروحة، ومن ثم، وبعد صمود وجدية القادة والأنبياء تحققت النتيجة. لم يكن النبي موسى عليه السلام سوى راعٍ مارس عمله ذاك لسنين طويلة.

وعندما كُلّف بمواجهة فرعون، لم يكن يملك من مساعدٍ أو نصير. لكنه . بما يمتلك من لياقةٍ وصفات وصمود . أزال أساس حكومة فرعون بعصاه. أتظنون أنه لو كانت عصا موسى بيدي أو بأيدي حضراتكم لكان حصل معنا نفس النتيجة؟! إن الأمر يحتاج إلى همّة موسى وجدّيته وتدبيره لكي يتم القضاء على فرعون.

وهذا ليس بمقدور أي كان. عندما بُعث النبي الأكرم ﷺ بالرسالة، وشرع بالدعوة، لم يؤمن به في البداية سوى طفل في الثامنة من العمر هو: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وامرأة في الأربعين هي: خديجة، ولم يكن لديه سواهما . والجميع يعلم كم ناله من أذى ومحاربة وتخريب. لكنه لم ييأس، ولم يقل لا نصير لدي، بل صمد، وأوصل . بقدرته الروحية وعزمه القوي . الرسالة من الصفر إلى هذه النتيجة، حيث ينضوي تحت لوائها سبعمائة مليون شخص هذه الأيام.

مذهب الشيعة بدأ أيضاً من الصفر. وعندما وضع الرسول ﷺ أساسه قوبل بالاستهزاء، «إذ حين جمع الرسول ﷺ قومه بداية الدعوة، عرض عليهم دعوته، وسألهم أيهم يؤازره في هذا الأمر ليكون وزيره وخليفته، ولم يجبه أحد سوى أمير المؤمنين عليه السلام . الذي لم يكن قد بلغ سن البلوغ بعد . لكنه كان يحمل روحاً كبيرة أكبر من كل الدنيا. التفت أحدهم إلى أبي طالب، وقال له مستهزئاً: لقد أمرك أن تطيع

ابنك وتسمع له»[19].

وفي ذلك اليوم الذي أعلن فيه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام على الناس قوبل بالبخبخة (بخ بخ) الظاهرية[20]، لكن العصيان والخلاف بدأ منذ ذلك الوقت، واستمر إلى النهاية. لو كان الرسول ﷺ نصّبه مرجعاً للمسائل الشرعية فحسب، لما خالفه أحد.

لكن نصّبه خليفة له، وجعله الحاكم على المسلمين، والمقرر لمصير أمة الإسلام، وهذا هو الذي سبب هذه الاعتراضات والمخالفات. وأنتم اليوم إذا جلستم في بيوتكم، ولم تتدخلوا في أمور البلاد، فلن يتعرض لكم أحد. وإنما يتعرضون لكم فيما لو تدخلتم في أمور البلاد فحسب.

وأمير المؤمنين عليه السلام والشيعة نالوا كل هذا الأذى، وكل هذه المصائب بسبب تدخلهم في أمور الحكومة وسياسة البلاد. لكنهم مع هذا لم يتخلّوا عن الجهاد والعمل، إلى أن صار عدد الشيعة اليوم. نتيجة جهادهم وعملهم التبليغي. حوالى مئتي مليون شخص.

إصلاح معاهد تخريج الكوادر

إن نشر الإسلام وبيان مفاهيمه وتوضيح معالمه يحتاج إلى إصلاح الحوزات العلمية. وذلك بتكامل برامج الدراسة، وأسلوب التبليغ والتعليم، وتبديل التراخي والإهمال واليأس وعدم الثقة بالنفس، بالجد والسعي والأمل والثقة بالنفس، وإزالة الآثار التي حصلت في

روحية البعض بسبب دعايات الأجانب وتلقيناتهم، وإصلاح أفكار جماعة المتظاهرين بالقداسة، الذين يعيقون عملية الإصلاح في الحوزات والمجتمع. ونزع عمائم معممي البلاط، الذين يبيعون الدين بالدنيا. وطردهم من الحوزات.

إن الحوزات العلمية هي مراكز تدريس وتعليم وإرشاد وقيادة للمسلمين. وهي مركز الفقهاء العدول والفضلاء والمدرسين والطلاب، مركز أمناء الأنبياء وخلفائهم. ومركز الأمانة. ومن الواضح أن الأمانة الإلهية لا يمكن تسليمها لأي كان. فالشخص الذي يريد تولّي منصب مهم كهذا. ليكون وليّاً لأمر المسلمين، ونائباً لأمير المؤمنين عليه السلام. يجب أن يكون نزيهاً ومعرضاً عن الدنيا. فذلك الذي يسعى ويجد لأجل تحصيل الدنيا. وإن كان ذلك في أمر مباح. ليس أمين الله، ولا يمكن الاطمئنان إليه، وذلك الفقيه الذي يدخل في أجهزة الظلمة، ويصير من حواشي البلاد، ويطيع أوامرهم، ليس أميناً، ولا يمكنه أن يكون حامل الأمانة الإلهية. والله يعلم كم نال الإسلام من مصائب من علماء السوء هؤلاء. من صدر الإسلام إلى اليوم. «أبو هريرة» أحد الفقهاء لكن الله يعلم كم وضع من أحاديث لصالح معاوية وأمثاله، وكم سبب من مصائب للإسلام. إن دخول العلماء في أجهزة الظلمة والسلاطين يختلف عن دخول الأفراد العاديين. إن الإنسان العادي الداخل في أجهزتهم فاسق، ولا يترتب عليه شيء أكثر من هذا. لكن

دخول فقيه أو قاض «كأبي هريرة»، و «شريح القاضي» يمنح الجهاز الظالم عظمة وقوة، ويضعف الإسلام. إن دخول فقيه واحد في أجهزة الظلمة يشابه دخول أمة، وليس كدخول شخص عادي، ولذا حذّر الأئمة عليهم السلام من الدخول في تلك الأجهزة، وذكروا أنه لولا دخول الفقهاء لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه. إن التكاليف والوظائف المطلوبة من فقهاء الإسلام لا تجب على غيرهم، ففقهاء الإسلام. وبسبب مرتبة الفقاهة التي يمتلكونها . عليهم التخلي عن الكثير من المباحات والإعراض عنها.

إذ ليس لفقهاء الإسلام أن يستعملوا التقية في بعض الموارد التي يجوز للآخرين استعمالها. فالتقية كانت لأجل حفظ الإسلام والمذهب، فلو لم يتقوا لما بقي المذهب.

والتقيّة إنما تكون في الفروع ككيفية الوضوء مثلاً، أما عندما تكون أصول الإسلام وكرامته في خطر؛ فلا مجال للتقية والسكوت. فلو ألجأوا فقيهاً ما لصعود المنبر، والتكلم بخلاف حكم الله، فهل يمكنه الإطاعة تحت شعار «التقية ديني ودين آبائي»، هنا لا محل للتقية. ولو كان دخول فقيه في أجهزة الظلمة مؤدياً إلى رواج الظلم وضعف الإسلام؛ فلا يحق له الدخول، حتى لو أدى ذلك إلى قتله. ولا يقبل منه أي عذر، إلا أن يكون لدخوله أساس ومنشأ عقلائي، كحالة «علي بن يقطين»❖ الذي كان سبب دخوله معلوماً، أو العلامة «نصير الدين

الطوسي» رضوان الله عليه الذي كان لدخوله تلك الفوائد المعلومة.

وبالطبع فإن فقهاء الإسلام منزهون عن تلك الأمور، ووضعهم واضح من صدر الإسلام إلى الآن، كمثل النور يشعون فينا، وليس فيهم مجال للخدش، أما رجال الدين أولئك الذين كانوا مع الحكام في ذلك الزمان فليسوا من مذهبنا، ففقهاء الإسلام لم يكتفوا بعدم إطاعة الحكام، بل عارضوهم أيضاً، وتعرضوا للحبس والضغوطات، ومع هذا لم يخضعوا لهم. لا يتوهمن أحد أن علماء الإسلام كانوا داخلين في تلك الأجهزة، أو أنهم الآن كذلك.

نعم في بعض الأحيان يدخلون ضمن النظام لأجل السيطرة عليه أو قلبه، والآن أيضاً لو أمكن القيام بذلك بالنسبة لنا؛ لوجب علينا الدخول، وهذا ليس محلاً للكلام. وإنما الإشكال على أولئك الذين وضعوا العمائم على رؤوسهم، ودرسوا بضع كلمات في مكان ما، أو لم يدرسوا، واتبعوا تلك الأنظمة لأجل بطونهم، أو طلباً للرئاسة. فماذا ينبغي أن نفعله مع هؤلاء؟

حفظ هوية الأمة ومواجهة الغزو الثقافي

لقد عمل عملاء الاستعمار والأجهزة التربوية والإعلامية والسياسية للحكومات العميلة لمدة قرون على بث السموم، وإفساد أفكار وأخلاق الناس، والأشخاص الذين كانوا يأتون إلى الحوزة هم من بين

أفراد الشعب، ويحملون معهم التأثيرات الفكرية والأخلاقية السيئة ولا شك. إذ الحوزات العلمية جزء من الشعب والمجتمع. لذا علينا أن نسعى لإصلاح عناصر الحوزات فكرياً وأخلاقياً. وأن نواجه ونزيل الآثار الفكرية والروحية الناتجة عن دعايات وتلقينات الأجانب وسياسة الدول الخائنة والفاسدة.

إن هذه الآثار ملحوظة بشكل واضح. إذ نجد أن البعض منا في الحوزات يتهامسون بأننا عاجزون عن القيام بمثل هذه الأمور، مالنا ولهذه الأمور؟ نحن علينا أن ندعو، ونجيب على الاستفتاءات فقط. هذه الأفكار من آثار تلقينات الأجانب، وهي من نتائج دعايات السوء التي يبثها المستعمرون خلال هذه القرون المتأخرة، والتي تغلغلت في أعماق القلوب في «النجف» و «قم» و «مشهد» وسائر الحوزات، وسبّبت الضعف والوهن. وهي لا تسمح لحامليها بالرشد والنمو الفكري.

إنهم يتعلّلون باستمرار بأننا لا نقدر على هذه الأمور. هذه أفكار خاطئة. فهؤلاء الذين يحكمون البلاد الإسلامية هذه الأيام ماذا يمتلكون لكي يتمكنوا من القيام بذلك من دوننا؟ من منهم يمتلك الكفاءة أكثر من الأشخاص العاديين؟ والكثير منهم لم ينل أي تعليم أصلاً. فأين درس حاكم الحجاز وماذا درس؟ ورضا خان كان أمياً، لم يكن أكثر من جندي أميّ. وهكذا كان الوضع في التاريخ أيضاً. فالكثير من الحكام المتفرعنين والمتسلطين لم يكونوا يتمتعون بكفاءة إدارة

المجتمع وتدبير الأمة، أو شيء من علم أو فضيلة. كهارون الرشيد أو غيره ممن حكموا البلاد الكبيرة. ما هو حظ أولئك من العلم؟ العلم والتخصص إنما يحتاج إليهما في التخطيط والأمور التنفيذية والإدارية، ونحن أيضاً سوف نستفيد من وجود أشخاص كهؤلاء، أما ما له علاقة بالإشراف والإدارة العليا للبلاد، وبسط العدالة بين الناس هو ما درسه الفقيه وحصّله. وما هو ضروري لحفظ الحرية الوطنية والاستقلال هو ما يمتلكه الفقيه، فالفقيه هو الذي لا يخضع لنفوذ الأجانب، ولا يركع للآخرين، ويدافع إلى آخر نفس عن حقوق الشعب، وعن الحرية والاستقلال، وأراضي الوطن الإسلامي. والفقيه هو الذي لا ينحرف يميناً وشمالاً.

ابعدوا هذا الجمود عنكم، أكملوا وأنضجوا برامجكم وأساليبكم التوجيهية، وابذلوا الجهود في نشر الإسلام وتعريفه، وصمموا على إقامة الحكومة الإسلامية، وبادروا للتقدم في هذا الطريق، وضعوا أيديكم بأيدي الشعب المناضل والباحث عن الحرية، وعندها يكون أمر إقامة الحكومة الإسلامية أمراً مؤكداً.

ثقوا بأنفسكم، فأنتم تمتلكون القدرة والجرأة والتدبير للنضال في سبيل تحرير الأمة واستقلالها، وعندما تتمكنون من توعية الشعب ودفعه للنضال، وزعزعة أجهزة الاستعمار والاستبداد، فسوف تنمو تجاربكم، وتزداد كفاءتكم وتدبيركم في الأمور الاجتماعية يوماً بعد

يوم. وعندما تنجحون في القضاء على أجهزة الحكم الجائر فستتمكنون يقيناً من القيام بمسؤولية إدارة الحكومة وقيادة جماهير الشعب. إن برامج الحكومة والإدارة والقوانين اللازمة لها جاهزة. فالإسلام قرر الضرائب والموارد اللازمة لإدارة البلاد، وكذلك سن جميع القوانين التي يحتاج إليها في ذلك. فلن تحتاجوا بعد تشكيل الحكومة إلى وضع قانون، أو لاستعارة القوانين من الآخرين كمثل الحكام المتغربين والمبهورين بالأجانب. فكل شيء جاهز ومهيأ. ولم يبق سوى برامج الوزارات التي يتم إعدادها وتنظيمها وإقرارها من خلال التعاون بين المستشارين والمعاونين المتخصصين في المجالات المختلفة المؤتلفين في مجلس استشاري.

ومن حسن الحظ فإن الشعوب أيضاً مؤيدة لكم ومتحدة معكم. وما ينقصنا هو الهمة والقوة المسلحة، وهذا أيضاً سنحصل عليه إن شاء الله. نحتاج إلى عصا موسى وهمته. يجب أن يكون لدينا من يستعمل عصا موسى، وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام.

أجل، فإن هؤلاء الأشخاص العديمي اللياقة الجالسين في الحوزات لا يقدرون على تشكيل حكومة وحفظها، لأنهم من العجز إلى درجة أنهم لا يستطيعون استعمال القلم أيضاً، ولا التحرك لإنجاز أي عمل.

لقد غرس الأجانب وأتباعهم في أذهاننا بأنه لا شغل لنا بهذه الأمور، ولسنا أهلاً لها، وأن علينا أن نهتم بشغلنا، بمدارسنا ودرسنا

وتحصيلنا. وإلى الآن لا أستطيع إخراج هذه الدعايات السيئة من أذهان البعض، وإفهامهم أن عليهم أن يكونوا رؤساء البشر، وأنهم مثل الآخرين يستطيعون إدارة مملكة. فبماذا يتميز عليكم الآخرون؟ سوى أنهم قضوا أوقاتاً طيبة في مكان ما، أو أنهم ربما درسوا في الأثناء أيضاً.

نحن لا نقول لا تدرسوا، فلسنا معارضين للتحصيل وللعلم. فليذهبوا إلى القمر، ولينتجوا المصنوعات الذرية، فنحن لا نمنعهم، غاية الأمر إن لنا تكليفاً وموقفاً تجاه تلك الأمور. قوموا ببيان مفاهيم الإسلام، وأوصلوا الصورة الإسلامية عن الحكومة إلى جميع أنحاء الدنيا، فلعل سلاطين البلاد الإسلامية ورؤساء جمهورياتها يلتفتون إلى صحة الموقف ويلتزمون به. فنحن لا نريد انتزاع السلطة منهم، فكل من كان منهم أميناً وملتزماً نتركه في موقعه.

نحن المسلمون يبلغ تعدادنا في الدنيا اليوم سبعمائة مليون شخص، مائة وسبعون مليون منهم شيعة. هؤلاء كلهم معنا، لكننا لم نستطع إدارتهم بسبب ضعف همتنا. علينا أن نشكل الحكومة التي تكون أمينة على الشعب، ويطمئن لها الشعب، ويستطيع أن يسلمها مصيره. نريد حاكماً أميناً ليحمل الأمانة، وتعيش الأمة في كنفه، وكنف القانون براحة بال.

يجب أن نحمل هم هذه الأمور. ويجب ألاّ نيأس. ولا تتصوروا أن

هذا الأمر لا يتحقق. والله يعلم أن كفاءتكم ولياقتكم ليست بأقل من الآخرين. إذا كانت اللياقة هي الظلم وسفك الدماء، فبالطبع لسنا كذلك. عندما جاءني ذلك الرجل[21] في السجن حيث كنت أنا والسيد القمي[22] (سلمه الله). والذي لا يزال لحد الآن متورطاً بالبلاء والمشاكل. قال «السياسة سوء طوية وكذب، وباختصار هي بلاء ولعنة فاتركوها لنا» وقد صدق فيما قال، إذ لو كانت السياسة هي هذه الأمور خاصة، فهي خاصة بهم. لكن الإسلام فيه سياسة، والمسلمون عندهم سياسة، وأئمة الهدى عليهم السلام هم «ساسة العباد»[23] لكنها سياسة بغير المعنى الذي ذكره. لقد أراد استغفالنا. ومن ثم ذهب فأعلن في الصحف أنه قد تم التفاهم على عدم تدخل علماء الدين في السياسة وبعد خروجي من السجن صعدت المنبر وكذّبت كلامه❖ وقلت لهم أن هذا كذب، وإذا كان الخميني أو غيره قد تكلم بشيء كهذا فإننا نخرجه.

لقد غرسوا في أذهانكم من البداية أن السياسة تعني الكذب وما شابه ذلك من المعاني، لكي يبعدوكم عن أمور الدنيا، بينما يتصرفون هم كما يريدون. وأنتم عليكم بالدعاء أيضاً، عليكم بالجلوس هنا والدعاء بـ «خلد الله ملكه» بينما هم يفعلون ما يحلو لهم، ويرتكبون القبائح التي يريدون. بالطبع فهم لا يمتلكون هذه الدرجة من الفهم. ولله الحمد. لكن أساتذتهم وخبراءهم هم الذين وضعوا هذه الخطط.

وضعها الاستعمار الإنكليزي الذي دخل بلاد الشرق منذ ثلاثة قرون، وتعرف إلى جميع أمور هذه البلاد.

وبعد ذلك أيضاً اتفق المستعمرون الأميركيون وغيرهم مع الإنكليز، وساروا معاً مشتركين في تطبيق هذه المخططات. عندما كنت في «همدان». في وقت ما. أراني أحد طلاب الحوزة. الذي كان رجلاً فاضلاً تخلى عن اللباس الديني لكنه حافظ على الناحية المسلكية. ورقة كبيرة قد وضعت عليها علامات بالأحمر. وحسب قوله فإن هذه العلامات الحمراء إشارات إلى الثروات الطبيعية المخزونة في إيران، والتي قد اكتشفها الخبراء الأجانب.

درس الخبراء الأجانب بلادنا، وتعرفوا إلى أماكن وجود ثرواتنا الطبيعية من ذهب ونحاس ونفط وغير ذلك. وفهموا نفسياتنا، ووزنوا مستوى روحية الأشخاص في بلادنا. وعلموا أن الشيء الوحيد الذي يشكل سداً في مقابلهم، ويمنع خططهم من التنفيذ، هو الإسلام وعلماؤه. لقد تعرف هؤلاء إلى قوة الإسلام الذي وصلت سيطرته إلى أوروبا، وعلموا أن الإسلام الحقيقي معارض لما يريدون.

كما أدركوا أيضاً أنهم لا يستطيعون الهيمنة على علماء الدين الحقيقيين والتصرف بفكرهم. لذا سعوا من البداية لإزالة هذه الشوكة من طريق سياستهم، وإلى إضعاف الإسلام والقضاء على مؤسسة علماء الدين. وقاموا بذلك أيضاً من خلال دعايات السوء،

بنحو صار فيه الإسلام يبدو بنظرنا هذه الأيام أنه لا يتجاوز عدة مسائل. فمن جهة سعوا إلى تحقير وتشويه صورة علماء الدين والفقهاء . الذين هم على رأس الجمعيات الإسلامية . من خلال التهم الباطلة، أو غير ذلك من الأساليب. عديم الكرامة وعميل الاستعمار ذاك الذي كتب في كتابه: أن ستمائة من علماء النجف وإيران كانوا يعملون لحساب الإنكليز، وأن الشيخ مرتضى(24) قبض المعاش منهم لمدة سنتين فقط، ثم التفت للأمر، والمصدر الذي اعتمد عليه هو المستندات المحفوظة في ملفات وزارة الخارجية الإنكليزية في الهند. إنها أيادي الاستعمار التي تدفعهم للتهجم علينا لتحقيق ما يريدونه من نتائج. يتمنى الاستعمار أن يقال: أن جميع العلماء مأجورون له. وذلك لكي تتشوه سمعة علماء الإسلام بين الناس، لكي يعرض الناس وينصرفوا عنهم.

ومن جهة أخرى يسعى بدعاياته وإلقاءاته لتصغير الإسلام وتحديده، وحصر دور فقهاء الإسلام وعلمائه بالأعمال الصغيرة. فأوحوا إلينا أن لا شغل للفقهاء سوى بيان الأحكام، ولا تكليف لهم سوى ذلك. وقد صدقهم البعض عن قلة فهم وضاعوا.

لم يعلموا أن هذه مخططات هدفها القضاء على استقلالنا، والتسلط على جميع مقدرات بلادنا الإسلامية. وقاموا بتقديم العون. من دون علم . لمراكز التبليغ والدعاية الاستعمارية في سياستهم، وفي

تحقيق أهدافهم. لقد أشاعت المؤسسات التبليغية للاستعمار بأن الدين منفصل عن السياسة، وأن علماء الدين لا ينبغي لهم أن يتدخلوا في أي أمر اجتماعي. والفقهاء ليسوا مكلفين بالإشراف على مصيرهم ومصير الأمة الإسلامية. وقد صدقهم البعض. مع الأسف. ووقعوا تحت تأثيرهم، وكانت النتيجة ما نراه الآن. إنها أمنية الاستعمار في الماضي والحاضر والمستقبل.

أنظروا إلى الحوزات العلمية لتروا آثار هذه الدعايات والتلقينات الاستعمارية فستجدون أناساً مهملين عاطلين عن العمل، لا همة لهم، يقتصرون على بيان الأحكام والدعاء، ولا يقدرون سوى على ذلك. وستواجهون خلال ذلك أفكاراً ومناهج من آثار هذه الدعايات والتلقينات. كمثال على ذلك فكرة أن الكلام ينافي شأن عالم الدين، وأن العالم والمجتهد لا ينبغي أن يكون متحدثاً (خطيباً) وإذا كان خبيراً بذلك فلا ينبغي له أن يمارسه! وإنما عليه أن يقول «لا إله إلا الله» فحسب، وينطق بكلمة واحدة أحياناً.

مع أن هذه خاطئة غلط، وخلاف سنة رسول الله ﷺ لقد امتدح له تعالى البيان والقلم. ويقول في سورة الرحمن: ﴿علمه البيان﴾ ويعدّ تعليمه البيان إكراماً ونعمة كبرى. فالبيان يحتاج إليه لأجل نشر أحكام الله وتعاليم الإسلام وعقائده، وإنما نستطيع تعليم الناس الدين ونصير مصداق «يعلمونها الناس» بواسطة البيان. كان لرسول

الله ﷺ ولأمير المؤمنين عليه السلام مواقف بيانية وخطب مشهورة، فقد كانوا فرسان الكلام.

مواجهة العدو الداخلي

هناك نمط من الأفكار البلهاء موجود في أذهان البعض، والتي تساعد المستعمرين والدول الجائرة على إبقاء وضع البلاد الإسلامية بهذه الصورة، ومنع النهضة الإسلامية.

هذه أفكار جماعة من المشهورين باسم «المقدسين» بينما هم في الحقيقة «متصنعو القداسة» لا مقدسون، ويجب علينا أن نصلح أفكار هؤلاء، ونوضح موقفنا منهم، لأنهم يعيقون نهضتنا وعملنا الإصلاحي، وقد كبلوا أيدينا.

اجتمع في منزلي يوماً آية الله البروجردي وآية الله حجت وآية الله الصدر وآية الله الخونساري (رضوان الله عليهم أجمعين)[25] لأجل البحث في أمر سياسي. فقلت لهم: قبل كل شيء احسموا وضع هؤلاء المتقدسين، فإن وجود هؤلاء بمثابة تقييد لكم من الداخل مع هجوم العدو من الخارج.

إن هؤلاء اسمهم مقدسون. لا أنهم مقدسون واقعاً. وليسوا مدركين للمصالح والمفاسد، وقد كبّلوا أيديكم. وإذا أردتم القيام بعمل ما من استلام الحكم، أو السيطرة على المجالس لمنع وقوع هذه

المفاسد، فإن هؤلاء سوف يقضون على جهودكم في المجتمع، فعليكم إيجاد حل لهؤلاء قبل كل شيء.

أضحى وضع المجتمع الإسلامي هذه الأيام بنحو بات فيه متصنعو القداسة يعيقون تأثير الإسلام والمسلمين، ويطعنون الإسلام باسم الإسلام. وأساس هذه الجماعة . الممتدة في المجتمع . من الحوزات العلمية. ففي حوزات «النجف» و «قم» و «مشهد» وغيرها من الحوزات يوجد أشخاص يحملون روحية التظاهر بالقداسة، ومنهم تسري روحية وأفكار السوء في المجتمع باسم الإسلام.

وهم الذين يعارضون كل صوت يدعو للحياة الحرة والاستقلال من تحت هيمنة الآخرين، وإلى منع الإنكليز والأميركيين من الهيمنة علينا إلى هذه الدرجة، وإلى مواجهة إسرائيل في اعتداءاتها على المسلمين. علينا في البدء أن ننصحهم ونوقظهم. وننبههم إلى الخطر، إلى جرائم إسرائيل من قتل وتهجير، وإلى دعم الإنكليز وأميركا لها، بينما هم يتفرجون. ونلفتهم إلى ضرورة اليقظة آخر الأمر، وحمل هم مشاكل الناس وحاجاتهم، وإلى أن الدرس وبيان الأحكام وحدهما لا يكفيان.

ففي الوقت الذي يقوم به الأعداء بالقضاء على الإسلام وعلى وجوده، لا يجب أن نظل ساكتين، ونجلس كالنصارى الذين جلسوا يتكلمون حول الروح القدس والتثليث؛ بينما العدو يقوم بالقضاء

عليهم. استيقظوا وعوا هذه الحقائق والوقائع. والتفتوا إلى مسائل العصر، ولا تدعوا أنفسكم هَمَلاً إلى هذه الدرجة. أتريدون أن تضع الملائكة أجنحتها تحت أقدامكم وأنتم بهذا الإهمال؟ فهل الملائكة أعوان المتقاعسين (التنابل)؟ الملائكة يضعون أجنحتهم تحت قدم أمير المؤمنين عليه السلام لأنه رجل ينفع الإسلام، وينصر الإسلام ويعظمه. وقد انتشر الإسلام في الدنيا واشتهر في العالم بواسطته، وفي ظل قيادته وجد المجتمع المحترم والحر، والمملوء حيوية وفضيلة.

فمن الطبيعي أن تخضع له الملائكة. وأن يخضع ويخشع له الجميع. فحتى العدو يخضع أمام عظمته. أما أنتم الذين لا دور لكم سوى بيان الأحكام، فلا معنى ولا محل للخضوع لكم.

وإذا لم يستيقظ هؤلاء بعد الإرشاد والتذكير والنصائح المتكررة، ولم ينهضوا للقيام بوظائفهم، عندها يُعلم أن قصورهم ليس من غفلة، وإنما عندهم مرض آخر. فعندئذٍ سيكون حسابهم بنحو آخر هذا فيما يتعلق بالمتقدسين ولكن هناك أيضاً أشخاص عممهم السافاك (جهاز الأمن عند الشاه) ليدعوا وليسبحوا بحمد الشاه وجلاله، ويكون عندهم البديل فيما لو لم يتمكنوا من إجبار أئمة الجماعة عن الحضور في الأعياد وسائر المراسم، ولقد منحوه لقب «جل جلاله» مؤخراً! هؤلاء ليسوا بفقهاء، وباتوا معروفين والناس صارت تعرفهم. يقول الإمام عليه السلام في ذلك الحديث: خافوا (من هؤلاء)

على دينكم، إنهم يقضون على دينكم. هؤلاء يجب أن يفضحوا ويسقطوا عند الناس لو كان عندهم وجاهة. فهؤلاء ما لم يسقطوا في المجتمع، فإنهم يلحقون الإهانة بإمام الزمان، ويسقطون الإسلام.

على شبابنا أن ينزعوا عمائم هؤلاء المعممين الذين يقومون بفساد كهذا في مجتمعنا باسم فقهاء الإسلام وعلمائه. لست أدري هل مات شبابنا في إيران؟ أين هم؟ عندما كنا هناك لم يكن الأمر كذلك. لِمَ لا ينزعون عمائم هؤلاء؟ لم أقل اقتلوهم، فإنهم لا يُقتَلون، لكن انزعوا عمائمهم. إن شعبنا مكلف، وشبابنا الغيور في إيران مكلف بعدم السماح لهؤلاء المعممين (الناطقين بجلاله) بالظهور كمعممين في أماكن تجمعنا، وبالتحرك كمعممين بين الناس. ليس من الضروري الإكثار من ضربهم وتأديبهم، لكن لينزعوا عمائمهم، وليمنعوهم من الظهور بالعمائم. هذا اللباس لباس شريف، فلا يجب أن يرتديه أي كان.

لقد ذكرت أن علماء الإسلام منزّهون عن هذه الأمور، ولم يكونوا . ولا هم حالياً كذلك. ضمن هذه الأجهزة. وأولئك التابعون لهذه الأجهزة إنما هم من الفارغين، الذين ألصقوا أنفسهم بالمذهب وبالعلماء، ووضعهم مختلف، والناس يعرفونهم.

نحن أيضاً عندنا مسؤوليات وتكاليف صعبة. يجب أن نكمّل أنفسنا أكثر من الناحية الروحية، ومن ناحية نمط المعيشة. يجب أن نترقى

في الصلاح والتقى أكثر فأكثر، وأن نعرض عن حطام الدنيا. أنتم أيها السادة عليكم أن تجهزوا أنفسكم لحفظ الأمانة الإلهية. أن تكونوا أمناء. وأن تحقّروا الدنيا. صحيح أنكم لا تستطيعون أن تكونوا كأمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول أن الدنيا عنده «كعفطة عنز» لكن أعرضوا عن حطام الدنيا، وزكوا أنفسكم، وتوجهوا إلى الله تعالى، وكونوا أتقياء.

إذا كنتم. لا سمح الله. تدرسون لأجل نيل الوجاهة فلن تصبحوا فقهاء ولا أمناء للإسلام. جهّزوا أنفسكم لتكونوا مفيدين للإسلام، كونوا جنود إمام الزمان عليه السلام لتتمكنوا من تأدية الخدمات ونشر العدالة. الأشخاص الصالحون هم الذين يكون وجودهم في المجتمع كمصلحين.

لقد رأينا مثل هؤلاء الأشخاص الذين ينال الإنسان النزاهة بمجرد معاشرتهم ومرافقتهم. اعملوا لتصلحوا الناس، ويقتدوا بكم من خلال تصرفاتكم وأعمالكم وسلوككم وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا. كونوا قدوة للأنام. كونوا جند الله، لتعرفوا الناس الإسلام وحكومته.

أنا لا أقول لكم اتركوا التحصيل، يجب أن تدرسوا وتصبحوا فقهاء، جدّوا في الفقاهة، لا تدعوا هذه الحوزات تخلو من الفقاهة، فما لم تصبحوا فقهاء لن تتمكنوا من خدمة الإسلام.

الإسلام في هذه الأيام غريب، ولا أحد يعرفه، وعليكم أن توصلوا

الإسلام وأحكامه إلى الناس ليفهموا ما هو الإسلام، وكيف تكون حكومته، وماذا تعني الرسالة والإمامة. وما الهدف الذي جاء لأجله الإسلام، وما الذي يريده. وعندما يُعرف الإسلام شيئاً فشيئاً، ستقام الحكومة الإسلامية في يوم من الأيام إن شاء الله.

بناء المؤسسات البديلة

لنقطع علاقاتنا بالمؤسسات الحكومية ونمتنع عن التعاون معها. ونرفض القيام بكل ما من شأنه أن يُعدّ عوناً لهم. ونبني مؤسسات قضائية ومالية واقتصادية وثقافية وسياسية جديدة.

إسقاط الطاغوت. أي السلطات غير الشرعية القائمة في مختلف أنحاء الوطن الإسلامي. هو مسؤوليتنا جميعاً. يجب أن نستبدل الأجهزة الحكومية الجائرة والمعادية للشعب بمؤسسات خدمات عامة تدار وفقاً للقانون الإسلامي، وشيئاً فشيئاً تستقر الحكومة الإسلامية.

لقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن إطاعة «الطاغوت» والسلطات غير المشروعة. وحث الناس على الثورة ضد السلاطين وأمر موسى عليه السلام بذلك. توجد أحاديث كثيرة تحث على محاربة الظلمة، والذين يتصرفون بالدين. كان للأئمة عليهم السلام ولأتباعهم. أي الشيعة. مواجهات مستمرة مع الحكومات الجائرة وسلطات الباطل، وهذا الأمر واضح في سيرتهم ونمط حياتهم. وقد ابتلوا بحكام الظلم والجور في

كثير من الأحيان، وعاشوا في ظروف تقية وخوف شديدين.

وبالطبع فإن خوفهم كان «لأجل المذهب» لا على أنفسهم، ونلاحظ هذا الأمر كلما راجعنا الروايات. كما كان حكام الجور يشعرون بالخوف من الأئمة عليهم السلام باستمرار، إذ كانوا يعلمون أنهم لو فسحوا المجال للأئمة عليهم السلام لثاروا عليهم، وحرّموا عليهم حياة اللهو والترف والمجون.

فعندما نرى هارون الرشيد يحبس الإمام الكاظم عليه السلام عدة سنوات، أو نرى «المأمون» يأخذ الإمام الرضا عليه السلام إلى «مرو» ليكون تحت نظره، ومن ثم يقوم بسمّه، فليس ذلك لأن الأئمة عليهم السلام سادة وأولاد النبي صلى الله عليه وآله بينما الرشيد والمأمون معادون للنبي، إذ هارون والمأمون كانا شيعيين كلاهما* . وإنما كان ذلك بسبب أن «الملك عقيم»* . لأنهم كانوا يعلمون أن أولاد علي عليه السلام يرون الخلافة لأنفسهم ومن مسؤولياتهم، ويصرّون على إقامة الحكومة الإسلامية. إذ عندما طلب من الإمام عليه السلام أن يعيّن حدود «فدك»❖ ليردّها لهم قام الإمام عليه السلام . حسب الرواية . بذكر حدود البلاد الإسلامية (كحد لفدك). وهذا يعني أنه يرى حقه ما بين هذه الحدود، وأنه هو الذي يجب أن يكون حاكماً عليه، وأن الذين يحكمون حينها كانوا غاصبين، فرأى أنه إذا بقي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حراً فسوف يحرّم الحياة عليهم، ومن الممكن أن تتاح له الفرصة، فيقوم بالثورة عليهم وانتزاع السلطة منهم، ولذا لم يمهلوه. ولو أمهلوه لكان قام بثورته بلا شك. كونوا متيقنين أنه لو دامت

الفرصة للإمام الكاظم عليه السلام لكان ثار، وقلب نظام حكم السلاطين الغاصبين.

كذلك المأمون قام بوضع الإمام الرضا عليه السلام تحت نظره. مع كل ما أبداه المأمون من تملق وكذب ومحاباة. ومخاطبته له بـ «يا بن العم»، أو «يا بن رسول الله»، وذلك خوفاً من أن يثور يوماً عليه ويقلب أساس الحكم. إذ أنه ابن رسول الله، وقد أوصي له، فلا يمكن تركه في المدينة حراً طليقاً.

حكام الجور يريدون السلطة، وهم يضحّون بكل شيء في سبيلها. لا أنهم يمتلكون عداوة خاصة تجاه أحد. إذ لو رضي الإمام عليه السلام. والعياذ بالله. أن يكون من أتباع البلاط، لعاملوه بمنتهى الإعزاز والاحترام، ولقاموا بتقبيل يديه أيضاً. بحسب الرواية. عندما دخل الإمام عليه السلام على هارون أمر بأن يظل راكباً حتى يصل إلى مجلسه، وعامله بمنتهى الإحترام.

وعندما جاء وقت توزيع عطاء بيت المال ووصل الدور لبني هاشم أعطاهم مبلغاً يسيراً، وكان المأمون حاضراً، فتعجب من ذلك الاحترام مع هذا النحو من التوزيع. فقال له هارون: يا بني أنت لا تدري. ينبغي أن لا يزيد سهم بني هاشم عن هذا المال، إن هذا الأمر لهم، وهم أولى به منا، فلو مكناهم لوثبوا علينا فيجب أن يبقى بنو هاشم هكذا فقراء، مسجونين منفيين، مقتولين، مسمومين، يعيشون المعاناة، وإلاّ

لقاموا علينا، وأبدلوا حلاوة أيامنا بالمرارة.

ولم يكتف الأئمة عليهم السلام بأن يقوموا هم بمحاربة الأنظمة الظالمة والدولة الجائرة وأتباع البلاط الفاسدين، بل حثّوا المسلمين على جهادهم أيضاً. هناك أكثر من خمسين رواية في وسائل الشيعة والمستدرك والكتب الأخرى تدعو إلى الابتعاد عن السلاطين والحكام الظلمة، وإلى وضع التراب في فم المداحين لهم. وتبين مراتب عقوبة من يناولهم دواة، أو يملأها لهم بالحبر والخلاصة أنها تأمر بقطع العلاقات معهم، وعدم التعاون معهم بأي شكل من الأشكال. ومن جهة أخرى وردت كل تلك الروايات في مدح وتفضيل العالم والفقيه العادل ونبهت إلى أفضليتهم على سائر الناس. فهذا كله يمثل خطة وضعها الإسلام لتشكيل الحكومة الإسلامية. وذلك من خلال إبعاد الناس وصرفهم عن الأنظمة الظالمة، وتخريب بيوت الظلم، وفتح أبواب الفقهاء. العدول المتقين المجاهدين العاملين في سبيل تطبيق الأحكام الإلهية، وإقامة النظام الإسلامي. أمام الناس.

لن يتمكن المسلمون من العيش في أمن وهدوء. مع حفظ إيمانهم وأخلاقهم الفاضلة. إلا في كنف حكومة العدل والقانون، الحكومة التي وضع الإسلام نظامها وطريقة إدارتها وقوانينها. فتكليفنا اليوم هو تطبيق مشروع الحكومة الإسلامية وترجمته في ساحة العمل.

آمل أن يؤدي بيان وتعريف نمط الحكومة، والأصول السياسية

والاجتماعية للإسلام للمجاميع البشرية الكبيرة، إلى إيجاد تيار فكري، وقوة ناتجة من نهضة الشعب تكون العامل في استقرار النظام الإسلامي.

اللهم إقطع أيدي الظالمين عن بلاد المسلمين، واقض على الخائنين للإسلام وللبلاد الإسلامية. وأيقظ قادة الدول الإسلامية من نومهم هذا، ليعملوا لأجل مصالح الشعوب، ويتخلوا عن التفرقة والسعي خلف المصالح الشخصية. ووفّق جيل الشباب وطلاب العلوم الدينية وطلاب الجامعات للنهوض في سبيل الأهداف الإسلامية المقدسة، والعمل المشترك لأجل التخلّص من براثن الاستعمار وعملائه الخبثاء، والدفاع عن البلاد الإسلامية. ووفق الفقهاء والعلماء للسعي في هداية المجتمع، وتنوير أفكاره، وتوضيح الأهداف الإسلامية المقدسة للمسلمين، وخصوصاً لجيل الشباب، والجهاد في سبيل إقامة الحكومة الإسلامية.

إنك ولي التوفيق. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الهوامش

(1) إحدى مدن المحافظة المركزية وتقع جنوب طهران على بعد 350كلم.

(2) هو من علماء الدين الدين وقفوا مطالبين بصياغة دستور متكامل يتماشى مع الشريعة الإلهية.

(3) هي انتفاضة قامت في أواخر القرن التاسع عشر ضد استبداد سلاطين الأسرة القاجارية وذلك بقيادة علماء الدين والمراجع.

(4) هو آخر سلطان من السلسلة القاجارية التي حكمت ايران بعد الصفويين وتم القضاء على ولده الأكبر محمد علي وتأسست حكومة المشروطه.

(5) هو من الشخصيات المثقفة ومن طبقة المفكرين السياسيين وكان يحظى بإحترام رجالات إنتفاضة الدستور.

(6) كان محرر صحيفة (رعد) وأحد العملاء البريطانيين المتسترين.

(7) تعني في اللغة العربية عالم الدين.

(8) هي أخت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

(9) أحد المقربين من الشاه وشغل لفترة طويلة مناصب أمنية وعسكرية حساسة.

(10) نجل آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم.

(11) حركة فدائيي الإسلام حركة مناهضة للنظام الشاهنشاهي بقيادة الشهيد نواب صفوي، كانت لها اليد في عدة عمليات ضد رموز الشاه.

(12) تبعد 40كلم جنوب شرق طهران

(13) يقصد البهائيين

(14) كان النظام يحتفل سنوياً بعيد ميلاد الشاه وزوجته وإبنه.

(15) بقي في هذا المنصب حتى إنتصار الثورة الإسلامية وقد حكمت عليه محكمة الثورة بالإعدام وهو أحد أقطاب الماسونية والبهائية في إيران.

(16) أسمه محمد علي شاه وهو الإبن الأكبر لم'فر الدين شاه القاجاري

(17) محمد بن حسن الطوسي المعروف (بالخواجة نصير) من حكماء وعلماء الإسلام العظام ومنطلابه العلامة الحلي.

(18) أحمد سوكارنو (1901-1970) كان أبوه مدرساً، انتمى في التاسعة عشر من عمره رلى معهد فني هولندي تخرج حاملاً شهادة هندسة قضى فترات عمره في النفي والسجن بسبب جهاده ضد الإستعمار وكان من مؤسسي حركة عدم الإنحياز.

(19) تاريخ الطبري ج2 ص 319-322.

(20) التفسير الكبير ج12 ص 53، وأسد الغابة ج4 ص 28.

(21) مراده قدس سره رئيس منظمة الأمن (السافاك).

(22) مراده قدس سره السيد حسن القمي ابن المرحوم آية الله السيد حسين القمي، الذي كان في ذلك الوقت مع الإمام قدس سره في السجن.

(23) ورد هذا التعبير في الزيارة الجامعة الكبيرة.

(24) مراده قدس سره الشيخ مرتضى الأنصاري الفقيه والأصولي الكبير عند الشيعة.

(25) آية الله السيد محمد تقي الخونساري (1305-1371هـ.ق) كان من عداد المجاهدين في ثورة الشعب العراقي علي الإستعمار الإنكليزي، تولى مع آية الله الحجة وآية الله الصدر (1299-1373هـ.ق) إدارة الحوزة العلمية في قم بعد وفاة آية الله الحائري.